التبيان

لِمُرِيدِ تَدَبُّرِ ٱلْقُرْءَان

خطة مقترحة للتدبر

بسام الزواوي

التبيان

لمريد تدبر القرآن

إعداد

بسام سليم محمد الزواوي

الإصدار الأول

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إنَّ القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، أرسل بها خاتم الأنبياء محمداً صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الثقلين كافةً شريعةً إلىٰ يوم القيامة، وأَوجهُ إعجازه لا تنتهي ولا تحد ولا تعد، ومن يتكلم عن شيء يفوق مداركه أنىٰ يدركه علماً وإحاطةً، ولكنَّ الله يهدي من يشاء، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿..وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ..﴾ [البقرة:٢٥٥].

والله هو الفتاح العليم يفتح لمن يشاء بما يشاء، وهذا هو أصل كتابنا هذا، فالله قد يفتح لنا بشيء ويفتح لغيرنا بأشياء، ونحن في هذا الكتاب نُلقي الضوء علىٰ أمور قد تُعينُ بإذنه تعالىٰ علىٰ تدبر كتاب الله جَلَّ وعلىٰ، والله يفتح لمن يشاء من عباده، وهذا هو بيت القصيد، فرجاؤنا من الله جَلَّ وعلىٰ الاستفادة من التطور العلمي في وسائل التواصل الاجتماعي بين الناس، بأن يُجمع ما يَفتحُ الله لهم به في صعيد واحدٍ فيعمّ بذلك خير كثير، والله أسأل التوفيق والسداد وحسن المراد.

❁❁❁

ما هو التدبر؟
التدبر لغة

(دَبَرَ) الدّال والباء والرّاء. أصل هذا الباب أنّ جلّه في قياسٍ واحدٍ، وهو آخر الشّيء وخلفه خلاف قبله، فمعظم الباب أنّ الدّبر خلاف القبل، ودبر النّهار وأدبر، وذلك إذا جاء آخره، وهو دبره، ودبّرت الحديث عن فلانٍ، إذا حدّثت به عنه، وهو من الباب، لأنّ الآخر المحدّث يدبر الأوّل يجيء خلفه، وقطع اللّه دابرهم، أي آخر من بقي منهم، والدّابر من السّهام: الّذي يخرج من الهدف، كأنّه ولّىٰ الرّامي دبره، وقد دبر يدبر دبورًا، ودابرت فلانًا: عاديته. وفي الحديث: (لا تدابروا) وهو من الباب، وذلك أن يترك كلّ واحدٍ منهما الإقبال علىٰ صاحبه بوجهه، والتّدبير: أن يدبّر الإنسان أمره، وذلك أنّه ينظر إلىٰ ما تصير عاقبته وآخره، وهو دبره. والدّابر: التّابع، يقال: دبر دبورًا، وعلىٰ ذلك يفسّر قوله جلّ ثناؤه: واللّيل إذا دبر، يقول: تبع النّهار[١].

❁❁❁

(١) مقاييس اللغة (١٢٤/ ٢).

التدبر شرعا

التدبر: تصرف الْقلب بِالنّظرِ فِي العواقب.

التدبر: النظر في دبر الأمور أي عواقبها.

التدبر: النّظر فِي عواقب الْأُمُور وَهو قريب من الْفِكر. والتفاوت بينهما أَنَّ الْفِكر بِصَرْف الْقلب بالنّظر في الدَّليل. والتدبر بصرفه بالنّظرِ في عواقب الْأُمور[١].

التأمل في عواقب الأمور وأدبارها وتصرف الرأي في مفهومها ومعقولها[٢].

هو النّظر في أدبار الأمور وعواقبها، وتدبّر الكلام هو النّظر والتّفكّر في غاياته ومقاصده الّتي يرمي إليها، وعاقبة العامل به والمخالف له[٣].

والمختار أن التدبر شرعًا: النّظر والتّفكّر في غايات ومقاصد كلام الله في القرآن الّتي يرمي إليها، وما يدخل فيها وما لا يدخل، وعاقبة العامل به والمخالف له، ومثله لما صحّ من السنة النبوية.

❁❁❁

(١) التعريفات (٥٤).

(٢) درج الدرر (٦١٦/ ٢).

(٣) تفسير المنار (٢٣٣/ ٥).

موضوعه

إِنَّ المقصود بالتدبر هو القرآن والسنة، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وقال أيضـًا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

وقال أيضـًا: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

وعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول اللّه صلّىٰ الله عليه وسلّم، يقول: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرّعب، وبينا أنا نائمٌ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي).

قال أبو عبد اللّه: (وبلغني أنّ جوامع الكلم: أنّ اللّه يجمع الأمور الكثيرة، الّتي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك)[١].

❁❁❁

(١) صحيح البخاري (٧٠١٣).

حكمه

لقد جاءت النصوص بالأمر بالتدبر فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وقال أيضـًا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

وقال أيضـًا: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

والأمر في الشرع يفيد الوجوب إذا لم يصرفه صارف إلىٰ الندب أو الإباحة، ولا صارف لهذا الأمر، فيكون التدبر واجبـًا علىٰ كل مسلم كلٌ بحسبهِ.

❁❁❁

فضله

لقد أنزل الله آخر كتبه القرآن علىٰ نبيه محمد عليه الصلاة والسلام وتكفل بحفظه فقد قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحِجر:٩].

وجعله جامعاً ناسخاً لكل الكتب السابقة فقد قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

وجعله شاملاً لحياة الناس في كل وقت وفي كل مكان إلىٰ يوم القيامة فقد قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

فإذا عُلمَ هذا، تبيَّنَ لكَ عظمة هذا الكتاب وأهميته بالنسبة للخلق أجمعين، وإذا كان هذا الكتاب هو كلام الله الذي تكلم به حقيقة وأنزله علىٰ نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، رسالةً من الله إلىٰ خلقه، و معجزةً لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام باقيةً إلىٰ يوم القيامة، وقد قال تعالىٰ علىٰ معاني كتابه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧].

وإذا كان كلام نبيه عليه الصلاة والسلام كلام قليل يدل علىٰ معانٍ كثيرةٍ، فكيف بكلام رب العالمين، الذي لا يعلم تأويل منتهاه إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ولايزال العلماء بجميع أنواع العلوم يكتشفون دقة وعظمة كلامه تعالىٰ، وكيفية شموله لكثير من المعاني العظيمة، وهذا هو أصلُ التدبر وأساسه.

وقد جعل الله جَلَّ وعلىٰ التدبر إحدىٰ أسباب تنزيل القرآن الكريم، وذلك لعظيم أثره وأهميته لصلاح قلوب العباد فقال جَلَّ من قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

❁❁❁

ثمرته

هو عبادة عظيمة محضة، فضلها عظيم فعن الحسن البصري أنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[١] وذلك لأن من يقوم بالعبادة قد يقع في نفسه شيء من العُجب والكلل، فيُعرضُ عن العبادة، بخلاف المتدبر فهو يقف علىٰ عظيم آيات الله وقدرته فَتَذِلُ نفسُه وتخضع وتَتوقُ للعبادة وتتعلق بخالقها، لِما يقع في نفسِه من شعور بالعجز والضعف أمام عظمة الله وقدرته، ولا عجب، فثمرات التدبر أَجَلُّ أن تحصىٰ، وكلام الله عظيم ومعانيه عظيمة، فلن يقف عليها إلا من منَّ الله عليه وأنعم، وفتح له بابًا من أبواب فضله ورحمته، ووقف علىٰ بعض معان كلام الله، وكلّما تدبر العبد كلام ربه سبحانه وتعالىٰ كلما وقف علىٰ حقائق أمور وعلىٰ خفايا عبادات قلبية، غفل عنها ولم يعطها حقها، ومن ثمرة التدبر، أن العبد يتبين له حدود أحكام الله وما يدخل فيها وما لا يدخل، وكم من آية ظن العبد أنه غير مخاطب بها، وبقليل من التدبر وَجَدَ فيها حظًا كبيراً من التكليف والخطاب الموجه له، ومن ثمراته أيضًا أن يقع في نفس العبد الاعتبار والموعظة عند التدبر في أخبار القرآن عن الغيب السابق والغيب اللاحق، ومن ثمراته العظيمة إمتلاء قلب المتدبر بأعمال قلبية عظيمة عليها مدار العبودية كله، كالخشية والتعظيم والإنابة والرجاء والمحبة والخضوع والإخبات والتعلق، وغيرها من الثمرات العظيمة التي لا يعلمها إلا الله، فأسرار وكنوز وعجاب القرآن لا يعلمها إلا الله والتي لا تظهر إلا بالتدبر.

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص (٢٢٠) وابن أبي شيبة موقوفًا علىٰ الحسن البصري (٧/١٩٠).

وروىٰ ابن رجب رحمه الله: وسَمِعَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجَلًاً يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور:٧-٨].

قال عمر: قسمٌ ورب الكعبة حق، ثم رجع إلىٰ منزله، فمرض شهراً يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه[١].

وأخبرني أحدهم أنَّ القلب لَيَبْقىٰ أياماً وأسابيع في وجَلٍ وإخبات وخوف ورجاء وتعظيم لله عز وجَلَّ، وغيرها من الأعمال القلبية، جراء تدبر آية ثم بما يفتح الله له من معان عظيمة فيها.

❁❁❁

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (٤١).

استمداده

لقد أرسل الله الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلىٰ أقوامهم خاصة وأيَّدهم بمعجزات شهدها أقوامهم فقط، وانتهت هذه المعجزات بانتهاء حياتهم صلوات الله عليهم أجمعين، وأما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو مبعوث للناس كافة، فأيَّده الله بمعجزة باقيةً خالدةً محفوظةً بحفظ الله إلىٰ يوم القيامة، وأوجه إعجاز القرآن لا حصر لها.

فإذا عُلمَ هذا، تبيَّن أن أصل التدبر هو تتبع معاني القرآن العظيم الذي هو كلام الله المحفوظ من التبديل والتعديل، ولمّا كان الكلام هو صفة للمتكلم، والله سبحانه وتعالىٰ السميع العليم الذي ليس كمثله شيء، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، فكلامه عظيم حكيم لا يعلم تأويل منتاه إلا الله، وعليه لن تنتهي عجائب القرآن ولن نقف علىٰ منتهىٰ مرا د الله، فكلَّما ازددنا علمـًا كلما ظهر لنا مقدار جهلنا ووجدنا القرآن سبقنا وأخبرنا طرفـًا مما علِمنا، ولا عجب في ذلك فهو تنزيل العزيز الحكيم.

مسائله

ومع أن القرآن الكريم كتاب دين ورسالة من الله لخلقه، إلا أنه يحتوي علىٰ أوجهٍ من الاعجاز لا حصر لها ولا عدد، فاختيار الكلمة الواحدة إعجاز، وتركيب الجملة إعجاز، وتركيب الآية إعجاز، مطلعها وختمها إعجاز، ترتيب الآيات إعجاز، مطلع السورة إعجاز، مواضيع السورة إعجاز، ختام السورة إعجاز، اسم السورة بالنسبة لمواضيعها إعجاز، ترتيب السورة في المصحف إعجاز، المعاني القريبة إعجاز، المعاني البعيدة إعجاز، غيض من فيض، إعجاز غير منقطع، والله جَلَّ وعلىٰ يمنُّ علىٰ عباده بما يشاء ويفتح لهم ويُطلعَهم علىٰ شيء من علمه، كما يشاء، ولمن يشاء، وبذلك فإن مسائل القرآن لا تنتهي ولا تنضب إلىٰ يوم القيامة، و مقصدنا في هذا الكتاب الإشارة إلىٰ بعض ما فتح الله لنا به من أسباب مُعينَة في هذا الباب.

إحكام القرآن الكريم
إعجاز القرآن الكريم

القرآن كتاب محكم فقد قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

وإحكام القرآن هو أساس الإعجاز، وأوسع أبواب التدبر، ولأن هذا الكتاب الحكيم هو كلام الله سبحانه وتعالىٰ، كلام رب العالمين خالق كل شيء المصور له الأسماء الحسنىٰ، فلن يخرج شيء عن حكمه وعلمه ومشيئته وقدره، وعليه فقد وضع الله في هذا القرآن أسرار لا تنتهي، وعجائب لا تنقضي، ورسائل وحِكم لا يعلمها، ولا يقف عليها، إلا من وفّقهُ الله للوقوف عليها، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

والناظر في بعض الآيات قد يرىٰ بعض التعارض الذي يظهر في عقل وفكر الناظر فقط، والقرآن منزه عن التعارض فهو كتاب محكم فنردُّ التعارض إلىٰ قصور فهمنا وجهلنا، ثم بعد التدبر والتفكر والتدقيق نجد عظيم كلام الله ودقة وصفه، وأنه لا تعارض في كلام الله ولا تناقض، وكم من مرة وقف البعض علىٰ ما يظنه تعارضاً في كلام الله ثم تبين له أن القصور والجهل في فهمنا وعلمنا لبعض الحقائق وتصوراتها، فكم من علم وكم من تصور تم تصحيحه بهذه الطريقة ﴿.. وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

نذكر بعض الأمثلة علىٰ أوجه الاعجاز:

❁❁❁

الاعجاز اللغوي البياني

وهو من أعظم مواطن التدبر، إذ يمكن لكل من تكلّم العربية أن يتدبّر فيه، ولِعلماء اللغة والبيان أن يبُحروا فيه تدبراً ليقفوا علىٰ الاعجاز المبهر، ولا غرو، إذ أنه من لدن حكيم عليم، وقد تحدىٰ الله جَلَّ وعلىٰ العرب وهم أهل الفصاحة واللسان بأن يأتوا بشي مثله، فلم يستطيعوا فقد قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣].

وقد وصفه بعض أعدائه من فصحاء العرب وهو الوليد بن المغيرة فقال: وماذا **أقول؟!** فو الله ما فيكم من رجَلَّ أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوةً وإن عليه لطلاوةً وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلىٰ، وإنه ليحطم ما تحته، وما يقول ذلك بشر.(١)

والكتب كثيرة التي تكلمت في إعجاز القرآن اللغوي فليُرجع إليها والأمثلة كثيرة وهذا مثالاً بسيطًا عظيمًا فقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ ﴿٧٩﴾ ...﴾ [يوسف:٨٠].

يقال إن اعرابيًا سمع هذه الآية فقال أشهدُ أنّ مخلوقًا لا يقدر علىٰ مثل هذا الكلام(٢).

(١) تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث (٢٤/ ٢٤).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ-القاضي عياض (١/ ٢٦٢).

وبعض أوجه الإعجاز في هذه الآية أن خمس كلمات قد وصفت مشاهد طويلة فيها أحداث وحوارات وتفاصيل دقيقة كثيرة، أخوة يوسف – عليهم السلام – تحاوروا مع يوسف – عليه السلام – وجادلوه وطلبوا منه أن يأخذ أحدهم بدلاً عن أخيهم الصغير، وطلبوا منه ذلك مراراً وتكراراً وسألوه واستعطفوه وسألوه بكل وسيلة يعرفونها، حتىٰ يأسوا من موافقته لهم، وفقدوا الأمل في اجابته طلبهم، فخرجوا من عنده وابتعدوا عن الناس ثم اجتمعوا اجتماعاً سرياً يتداولون فيما بينهم بصوت خافت كيف سوف يتعاملون مع الموقف العصيب الذي وضُعوا فيه، وقد أخذ عليهم أبوهم العهود والمواثيق بالحفاظ علىٰ أخيهم الصغير، كل هذه الأحداث وصفها جَلَّ وعلىٰ بكلمات بسيطة.

عظمة اللغة العربية

ولابد لنا أولاً من الإشارة لعظمة اللغة العربية وبديع صنعتها، فهي اللغة التي علمَّها اللهُ جلَّ وعلىٰ آدم عليه السلام بعد خلقه في الجنة، وهي لغة لا يستطيع بشر أن يضع ألفاظها وتصاريفها ومعانيها وتراكيبها وأساليبها المبهرة، فهي لغةً معجزةً بنظمها وتراكيبها، لأنها من لدن الله العزيز الحكيم، الذي خلق كل شيء، ولا يخرج عن علمه شيء، فهي لغة شاملة متينة، ومن عجائبها البديعة كثرة ألفاظها المختلفة المعاني، وثرائها، بحيث تصف أدق تفاصيل الفعل، فتجد جنس الفعل الواحد له ألفاظ جمة، كل لفظ يصف معنىٰ إضافيـًا زيادة علىٰ أصل جنس الفعل، فمثلا فعل (قام) تجد له مرادفات أو كما يسميها ابن تيمية وتلميذه رحمها الله (الألفاظ المتكافئة)[١] (نهض) (هب) (وقف) فنلاحظ أن كل كلمة تفيد القيام وزيادة معنـًا مختلفـًا عن الأخرىٰ، هذا بالإضافة إلىٰ تخصيص كل فعل بلفظ مختلف عن غيره، وقد أنزل الله سبحانه وتعالىٰ كتابه الخاتم علىٰ نبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم لسانـًا عربيـًا، والله سبحانه وتعال هو الخبير العليم، خالق كل شيء لا يخفىٰ عليه شيء، وهو مريد لكل لفظ ولكل حرف ورد في القرآن.

فإذا عُلمَ هذا، فلا يجوز ولا ينبغي شـرح كلمة من كلام القرآن بكلمة أخرىٰ مجردة فقط، فلا يوجد كلمة تطابق كلمة أخرىٰ من كل وجه، وعليك البحث عن المعنىٰ الدقيق لكل كلمة لتَشـعرَ بعظمة الله في دقيق وصـفه ودقة بيانه، ولتتعرف علىٰ بعض مراد الله في آية من آيات كتابه جَلَّ

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٤٢٤/ ٢٠).

وعلىٰ، وفي سبيل ذلك، يمكن الاستعانة بكتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس فهو كتاب نافع مختصر يبين المراد من كل فعل بطريقة مختصرة فهو نافع في ذلك جداً، وعلىٰ سبيل المثال نأخذ آية نبيّن بها المقصود قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ...﴾ [البقرة:٢٤٩].

انظر إلىٰ كلمة (يطعمه) فالغالب مع السوائل استعمال فعل (الشرب) والله عزّ وجَلَّ اختار كلمة أخرىٰ ليعم المنع علىٰ الشرب والذي هو إدخال الماء للجوف، وعلىٰ التذوق بالشفاه دون إدخال الماء للجوف، وكذلك الإستنشاق فإن المستنشق يجد طعمه في حلقه وغيرها من المعاني تجمعها كلمه (يطعمه).

مثال آخر لا تفسّر الخشية بالخوف، إذ أنّ الخشية خوفٌ مع علم بقدرة المُخْوفِ وإقرار الخائف بالذنب فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:٢٨].

فقد حصر الله جلّ وعلىٰ الخشية في العلماء، وذلك لتعلق الخشية بالعلم، فكم من عالم في مجال من مجالات العلوم المختلفة آمن بالله واهتدىٰ، لمّا وصل إلىٰ مرحلة من العلم، وله نفس سوية فأقرّت نفسُه بعظمة الله وآمنت به، مثال آخر: فقد قال الله تعالىٰ في سورة التغابن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

نبحث عن التفسير التحليلي للكلمات ومعاني أدوات المعاني في الآيات:

من: حرف (من) يفيد التبعيض، وعليه ليس كل أزواجنا أو كل أولادنا عدوا لنا، وإنما بعض الأزواج وبعض الأولاد، أو يقال بعض تصرفات الأزواج (رجل أو امرأة) وبعض تصرفات الأولاد.

فاحذروهم: (حَذِرَ) الحاء والذّال والرّاء أصلٌ واحدٌ، وهو من التّحرّز والتّيقّظ. يقال حذر يحذر حذرًا. ورجلٌ حذرٌ وحذورٌ وحذريانٌ: متيقّظٌ متحرّزٌ.

فإن تعفوا: (عَفَو) العين والفاء والحرف المعتلّ أصلان يدلّ أحدهما علىٰ ترك الشّيء، والآخر علىٰ طلبه. ثمّ يرجع إليه فروعٌ كثيرةٌ لا تتفاوت في المعنىٰ.

وتصفحوا: (صَفَحَ) الصّاد والفاء والحاء أصلٌ صحيحٌ مطّردٌ يدلّ علىٰ عَرْضٍ وعِرَضٍ. من ذلك صفح الشّيء: عرضه. ويقال: رأسٌ مصفحٌ: عريضٌ.

وتغفروا: (غَفَرَ) الغين والفاء والرّاء عظم بابه السّتر، ثمّ يشذّ عنه ما يذكر. فالغفر: السّتر. والغفران والغفر بمعنًىٰ. يقال: غفر اللّه ذنبه غفرًا ومغفرةً وغفرانًا [١].

ففي هذه الآية نداء للذين آمنوا وإخبارٌ لهم، أن من أزواجهم وأولادهم عدواً لهم، فكلمة (من) هي من أدوات المعاني وتفيد في هذه الآية التبعيض، فليس كل أزواجكم (رجل أو امرأة) وليس كل أبناءكم عدواً لكم، وإنما بعضهم أو بعض تصرفاتهم، إذاً كيف نتعامل مع هذا يا رب؟

نأخذ الكلمات الثلاث (تعفوا- تصفحوا- تغفروا) وبعد البحث عن معنىٰ كل كلمة بدقة، كما فعلنا أعلاه، فتجد أن العفو مقصود به هنا ترك العقوبة، والصفح مقصود به ترك اللوم والعتاب واللجاج والتثريب

(١) مقاييس اللغة (٣٧/ ٢) (٥٦/ ٤) (٢٩٣/ ٣) (٣٨٥/ ٤٧).

والإعراض عنه، والغفران مقصود به ستر ونسيان هذه الأخطاء الصادرة من الأزواج (رجل أو امرأة) والأبناء.

فهذا منهج حياة تستطيع أن تحيا به دون منغصات وتستمر الحياة دون معوقات، وفيه حسم لمسائل الخلاف، أنظر كيف بقليل من التدبر وقفنا علىٰ منهج حياة في آية واحدة، ومثاله كثير.

مثال آخر: فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

وقد كانت العرب تقول (إن القتل أنفىٰ للقتل) وبالمقارنة بين قوله تعالىٰ، وبين قول العرب، وقف علماء اللغة علىٰ نيفٍ وعشرين فضلاً للآية علىٰ الكلام العربي، نذكر بعضها أن الآية لم تذكر القتل، وإنما ذكرت (القصاص) وهو يفيد العدل، جعلت نتاج القصاص حياة خلافاً للكلمة العربية فقد جعلته القتل، وغيرها من دقائق اللغة والبيان، وكتب التفسير والبلاغة تذخر بالمقارنة بين هذين اللفظين.

مثال آخر قال الله تعالىٰ:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

أي أنك في تعاملك مع الناس: (خذ العفو) اِقبل ما جادت به نفوس الناس، ولا تنتظر منهم ما كنت تأمل ويدور في خلدك أن يفعلوه، ولا تسخط بما قدموه، ثم بعد ذلك (أمر بالعُرف) أي عرّف الناس بالواجب، وما الذي عليهم أن يفعلوه في هذا الوقت، والعُرف ما تعارف عليه الناس من أوامر الشرع، وما تعارف عليه الناس من أمور المروءة، وحُسن الخُلق، ثم (أعرض عن الجاهلين) إن الجاهل لا تثريب عليه، ولا يسعك لومه، ولا يسعك تفهيمه، فدخولك معه بجدالٍ ونقاشٍ قد يجَلَّب عليك ما لا تحمد عقباه، فلذلك أعرض عنه، أي لا تلتفت لما يقول، أو أدر إليه ظهرك

وانطلق في سبيلك، هذا منهج حياة في آية واحدة، واللهِ لو طبقه الناس لحُسم أغلب الشحناء والبغضاء بينهم.

مثال آخر: قال الله تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

سنريهم: السين للاستقبال وتفيد الاستمرار المستقبل ممتد أكثر من الحاضر.

نريهم: مفاعلة من رأىٰ تدل علىٰ تكرار الفعل وتحقق وقوع الرؤية.

آياتنا: جمع آية وهي الشيء المعجز الخارق للعادة.

الآفاق: جمع أفق والأفق يطلق علىٰ كل واحد من الجهات الأربع، من أوله إلىٰ آخره، مثلاً الأفق الشمالي ممتد من الشرق إلىٰ الغرب، في جهة الشمال، وتستخدمه العرب أيضًا في التعبير عن الأشياء الواسعة العريضة، فتقول أفاق العلم، أفاق المعرفة،.....إلخ، وعلىٰ هذا يكون تحقق الرؤية وتأكد حصولها، ليس علىٰ صعيد وأفق واحد، وإنما علىٰ أصعدةٍ وأفقٍ شتىٰ، فيا سبحان الله ما أكثر الأفق في هذه الدنيا.

حتىٰ: حرف تحقيق وغاية، أي أن الفعل وهي (الرؤية) في مثالنا، تستمر إلىٰ حصول الغاية، وهي بيان الحق ووحدانية الله في أسمائه وصفاته وملكه وربوبيته، وعليه يجب علىٰ الإنسان أن يصدّق رسل الله، ويستجب لما يدعون إليه من توحيد الألوهية لله عز وجَلَّ وحده دون سواه.

يتبيّن: أصله (بان) ومعناه انفصل وتباعد حتىٰ يبدو كل شيء وحده بذاته لا يختلط به شيء.

أولم: سؤال إقراري إجابته ببلىٰ.

يكف: الكفاية هي الاستيفاء والحسب.

الشّـهيد: أي المطّلع علىٰ جميع الأشـياء، سـمع جميع الأصـوات، خفيها وجَلَّيَّها، وأبصـر جميع الموجودات، دقيقها وجَلَّيلها، صـغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شـيء، الذي شـهد لعباده، وعلىٰ عباده، بما علموه[(١)].

قال الشـيخ عبد الرحمن السـعدي رحمه الله تعالىٰ: (الرّقيب) و (الشّـهيد) مترادفان، وكلامها يدلُّ علىٰ إحاطة سـمع الله بالمسـموعات، وبصـره بالمبصَـرات، وعلمه بجميع المعلومات الجَلَّية والخفية، وهو الرّقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولىٰ الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالىٰ: ﴿....إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

وقال أيضـًا: ﴿.....ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾ [المجادلة:٦].

ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلىٰ درجات أعمال القلوب وهي التعبد لله باسـمه الرّقيب الشّـهيد، فمتىٰ عَلِمَ العبدُ أنَّ حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بها علمـًا، واسـتحضـر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسـة باطنة عن كل فكر وهاجس يُبغضـه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يُسخط الله، وتعبَّد بمقام الإحسان فعَبَدَ الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه[(٢)].

فإذا كان الله رقيبـًا علىٰ دقائق الخفيات، مطلعـًا علىٰ السـرائر والنيات، كان من باب أولىٰ شـهيداً علىٰ الظواهر والجَلَّيات، وهي الأفعال التي تُفعل بالأركان أي الجوارح[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرّحمن (٩٤٨) وانظر اسم (الشّهيد) و (المؤمن) في مدارج السالكين (٣/ ٤٦٦).

(٢) الحق الواضح المبين (٥٨-٥٩).

(٣) شرح القصيدة النونية للهراس (٢/ ٨٨).

أقول: وعلىٰ هذا يمكن أن نفهم من الآية، أن العناية الإلهية لن تنفك عن البشـــر، حتىٰ تتحقق رؤيتهم لآيـات الله في الأفـاق، وآيـاتـه في نفوس البشـــر، وعليه لن يبقىٰ أحد من البشـــر، إلا واســتقر فيه قلبه، وعلم ورأىٰ آيات الله الدّالة علىٰ وجوده وكمال صفاته وأنه منزه عن كل عيب ونقص، والدالة علىٰ كمال ربوبيته للخلق أجمعين والدالة علىٰ وجوب توحيده في التوجه والطلب وإيقاع الحوائج.

الإعجاز العلمي

باب عظيم من أبواب التدبر يمكن لأي عالم من علوم الدنيا التّدبّر فيه كلٌ بحسبه، فلا يمضي يوم وإلا نسمع فيه عن إسلام عالِمٍ جديد، بعد اكتشافه حقيقة من حقائق العلم، بعد بذله جهد بحثي وتجارب وملاحظات مضنية، ثم يتبين له أن الله جلَّ وعلىٰ ذكر هذا في القرآن منذ ١٤٠٠ عام، فيوقن هذا العالم أن هذا كتاب منزلٌ من لدنٍ عليمٍ حكيمٍ، لا يمكن لرجل أميٍ قبل ١٤٠٠ عام أن يفتريه، وعلىٰ سبيل المثال لا الحصر:

تبين للعلم الحديث أن أقل الحمل ستة أشهر، ويعرف ذلك من القرآن بالجمع بين آيتين فقد قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا .....﴾ [الأحقاف:١٥].

مع الآية الأخرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ضِرَارًا ....﴾ [البقرة:٢٣٣].

فمدة الحمل والفصال (٣٠) شهر يطرح منها تمام الرضاعة (٢٤) شهرا فيكون أقل الحمل (٦) أشهر: فعن أبي الأسود أنه رُفع إلىٰ عمر أن امرأة ولدت لستة أشهر، فهمّ عمر برجمها، فقال له عليٌّ: ليس لك ذلك، قال الله تعالىٰ: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)، وقال تعالىٰ: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) فحولان وستة أشهر ثلاثون شهراً، لا رجم عليها، فخلىٰ عمر سبيلها، وولدت مرة أخرىٰ لذلك الحد ويروىٰ مثل ذلك عن عثمان وابن عباس[١].

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (٧/ ٧٢٧).

مثال آخر قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل:٦٨].

ثم بعد التجربة والاختبار تبيَّن أنَّ أفضل العسل ما كان فيه بيت النحل في الجبال، ثم الشجر، ثم البيوت التي من صنع البشر.

مثال آخر وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان:٥٣].

وعند البحث في بعض مصّاب الأنهار وُجِد أن تيار الماء العذب يمتد إلىٰ ألاف الكيلو مترات داخل البحر دون أن يختلط، ووجد بينهم فاصل من الماء الوسط بين الملوحة والعذوبة، وغيرها كثير من الاكتشافات.

مثال آخر قال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٦٨-٦٩].

الخطاب جاء بصيغة التأنيث ثم تبين للعلم الحديث أن من يقوم بكل العمل في أمّةَ النحل هم الاناث، وقد سبق به القرآن العظيم.

❁❁❁

الإعجاز الغيبي

وهذا موطن آخر يمكن لأي مسلم أن يتدبّر فيه، إذ أن الغيب ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام بحسب الوقت: غيب ماض، وغيب حاضر، وغيب مستقبل، والقرآن الكريم جاء بالثلاث:

فمن الغيب الماضي: ذكر القرآن كثيراً من قصص الأقوام السابقة، وكثيراً من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، كقصة أبينا آدام عليه الصلاة والسلام، وقصة أهل الكهف، وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام وأخوته، وكذلك قصة ولادة مريم عليها السلام، وقصة حملها بعيس عليه السلام، وقصة يونس عليه الصلاة والسلام، وندائه في بطن الحوت، وقصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وكلام الله تعالىٰ وحديثه له في كل موعد واعده الله سبحانه وتعالىٰ فيه، وقصص بني إسرائيل وغيرها كثيراً من القصص التي وردت في القرآن والتي نَقَلَ الله جلَّ وعلىٰ لنا فيها دقائق وأخبار لا يمكن لأحدٍ الاطلاع عليها فقد قال الله تعالىٰ في معرض هذا: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٦]..

ومن الغيب الحاضر: فقد فضح القرآن كثيراً من مخططات المنافقين والمشركين وحديثهم السري ومؤامراتهم حتىٰ أنه أخبر عما يدور وما يشعرون به في قلوبهم، ولم يستطع أحد منهم أن يكذّب ذلك منهم، ومن ذلك شيء كثير، والتي يمكن تعميمها علىٰ المنافقين في الوقت الحاضر.

ومن قصص المستقبل: لايزال القرآن يُخبرُ منذ أوائل نُزوله عن أمورٍ غيبية مستقبلية، لا تزال تتحقق، فمنها انتصار الروم علىٰ الفرس في بضع

سنين بعد خسارتهم أمامهم، ومنها موت كثيرٌ من المشركين علىٰ الكفر وعدم إيمانهم كأبي لهب وأبي جهل، والوليد بن المغيرة وغيرهم كثير، كذلك أخبر القرآن عن كثير من الوقائع المستقبلية التي حدثت فعلاً في حياة المسلمين وفي حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا نزال نرىٰ كثيراً مما أخبر به القرآن يتحقق أمام أعيننا من الاكتشافات العلمية في كل مكان فقد قال تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

❁❁❁

الإعجاز التكليفي

وهو من أهم أنواع الاعجاز، لأن مقصد الشرع الأعظم تعليم الناس أمور دينهم، وهو بحر للتّدبر من قبل علماء الأصول وعلماء مقاصد الشريعة، وقد نقف علىٰ بعض عظيم علم الله وعظمته وقدرته، فنرىٰ أساليب التكليف في أعلىٰ درجات الابداع والعلم والتفنن في كيفية التعامل مع نفوس البشر، فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر:

١- التدرُّج في الأحكام: كلنا يعلم كيف تدرَّج التكليف في الإسلام من إعلان الألوهية لله وعدم الشرك به، إلىٰ أن وصل إلىٰ كمال شرائع الإسلام، وكيف تدرَّج القرآن في تحريم الخمر، وكيف أن الله فرض الله الصلاة إلىٰ بيت المقدس، تأكيداً ووصلاً للشرائع السابقة، ثم انتهىٰ الشرع بالاتجاه للبيت الحرام ليجعله هو الدين الخاتم، وغيرها من الأحكام التي تدرَّج القرآن فيها.

٢- الوقت المناسب للتكليف: لم يفرض الله الجهاد في أول الأمر حفاظًا علىٰ الثلة المسلمة من أن تستأصلها قوة الشر، وحفاظًا علىٰ أناس بدأت بذرة التوحيد تنمو في قلوبهم من أن يُقتلوا أو يُكرهوا علىٰ قتال المؤمنين فقد قال تعالىٰ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح:٥٢].

٣- مراعاة ثقل التكليف عن النفس البشرية: أول ما شرع الله الصيام كان علىٰ الذين يطيقونه فقط، ولم يكن فرض عين، ثم لما

فرضه قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

لقد استخدم القرآن صيغة الفاعل الذي لم يُسمَ فاعله، وذلك تعظيماً للصلة بين العبد والله جَلَّ وعلىٰ، فالنفس البشرية جُبلت علىٰ عدم حب التكليف، وغيرها كثير من الآيات.

٤- إضافة العلل للأحكام لجعلها منضبطةً لا يصلها اللبس، فقد جعل الله السفر علة الفطر في رمضان، وعلة للقصر والجمع، وكذلك جعل السرقة علة للقطع، والقتل العمد العدوان علة للقصاص، وكذلك جعل أحكاماً غير معللة فتنةً واختباراً للناس الذين يعظمون أوامر الله وشعائره.

٥- بيَّن مقاصد الشرع في التكليف: في كثير من الآيات بين الله جل وعلىٰ مقاصده في التكليف علىٰ سبيل المثال فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

فجعل مقصد الشرع من الصيام حصول التقوىٰ، فذلك يعينك علىٰ القيام بالتكاليف بنفس راضيةً مؤمنةً محتسبةً، ولمعالي شيخنا أ.د. سعد بن ناصر الشثري برنامج إذاعي أبدع فيه (برنامج مقاصد الشريعة).

٦- ومن أعظم إعجاز القرآن في التكليف، طريقته في إحكام التكاليف بحسب أنواعها فالثابت منها ولا يتغير عبر تغير الشعوب

والأوقات فيه نصوص محكمة لا يمكن تأويلها أو صرفها أو الغلط فيها، وأما ما يتغير بتغير الوقت والأحوال فقد جعل الله قواعدَ ونصوصَ ضابطةَ تجمع كثيراً من المسائل الحادثة، والجديدة التي قد تحدث لاحقاً وهذا الإعجاز لا يشعر به ولا يقف علىٰ عجيب صنع الله فيه، إلا علماء الأصول ومن له علم به واشتغال.

القرآن كتاب واحد موضوعه واحد
الوحدة الموضوعية في القرآن

لقد جَمعت سورة الفاتحة جميع معاني القرآن بإجمال معجز مبهر، ثم إن سورة الفاتحة جُمعت في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وقد أبدع ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين في بيان ذلك، ثم جاءت سورة البقرة شارحة مبينة كيف نعبد الله وكيف نستعين به، حتىٰ أنها لم تترك أصلاً من أصول الشرع إلا وذُكر فيها، ثم جاءت سورة آل عمران رمزاً لقوم اتبعوا ما جاء في سورة البقرة وكيف أنعم عليهم جَلَّ وعلىٰ فقال جَلَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣].

ثم جاءت سورة النساء لضبط الحدود القصوىٰ والدنيا للمسلم، كيف يتبع شرع الله ويتقه وهو في أقل أحواله ضعفـًا، وكيف يتقي الله وهو في أقوىٰ أحواله قوةً، ثم جاءت سورة المائدة شارحةً ما بين ذلك من تقوىٰ الله واتباع أمره، ثم جاءت سورة الأنعام لتبين نعمة الله في وجزاءه في الدنيا والآخرة لمن اتبع هديه الذي ورد في السور السابقة، ثم تتوالىٰ بقية السور علىٰ هذا المنوال حتىٰ سورة الناس، حتىٰ أن سورة الناس مرتبطة بسورة الفاتحة عوداً لتكرار القراءة في المصحف من البداية بعد الانتهاء منه، وكأنها تقول وتعلل لماذا نلوذ ونستعيذ برب الناس، لأن له الحمد رب العالمين، له الصفات العلىٰ الجَلَّية المطلقة الحسنىٰ وهو رب العالمين رب الإنس والجن المستعاذ منهم في سورة الناس.

الوحدة الموضوعية في السورة

إن الناظر في بعض سور القرآن ومواضيعها قد يظهر له جَلِّيًا الموضوع الرئيس الذي تناقشه السورة، وذلك من تسلسل الآيات التي تشكل عناصر موضوع واحد، تهدف له هذه السورة بمجموع آياتها، فلا يحتاج لبحث ولا لتأمل، وفي أخرىٰ يخفىٰ فيحتاج لبحث وتدبُّر ونظر لمعرفة موضوع السورة الرئيس، وقد يظهر ارتباط بعض الآيات في موضوع السورة جَلِّيا، وقد يخفىٰ تارة في آيات أخرىٰ، فنحتاج لنظر وتدبر لمعرفة العلاقة بين الآيات وبين موضوع السورة.

وقد سبق الكلام عن وحدة موضوع القرآن وبالتالي هناك تناسب في مواضيع السور حسب ترتيبها في المصحف مع اختلاف أهل العلم في ترتيب السور في المصحف هل هو توقيفي وهو **الراجح**، أم هو اجتهاد من الصحابة.

قال ابن حجر: ترتيب بعض السور علىٰ بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفًا، قال: ومما يدل علىٰ أن ترتيبها توقيفي ما **أخرجه أحمد وأبو داود عن أوس بن حذيفة قال: سألنا أصحاب رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وسلّم حين أصبحنا قال قلنا كيف تحزّبون القرآن قالوا نحزّبه ستّ سورٍ وخمس سورٍ وسبع سورٍ وتسع سورٍ وإحدىٰ عشرة سورةً وثلاث عشرة سورةً وحزب المفصّل من ق حتّىٰ تختم**[1].

(١) إسناده حسن أخرجه أبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥)، وأحمد (١٩٠٢١) باختلاف يسير.

قال فهذا يدل علىٰ أن ترتيب السور – علىٰ ما هو في المصحف الآن – كان علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويحتمل أن الذي كان مرتبًا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه[١].

وكذلك اختاره السيوطي فقال: قلت: وممّا يدلّ علىٰ أنّه توقيفي كون الحواميم رتّبت ولاءً وكذا الطّواسين ولم ترتّب المسبّحات ولاءً، بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشّعراء وطسم القصص بطس مع أنّها أقصر منهما ولو كان التّرتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبّحات ولاءً وأخّرت طس عن القصص. والّذي ينشرح له الصّدر ما ذهب إليه البيهقيّ وهو أنّ جميع السّور ترتيبها توقيفيٌّ إلّا براءة والأنفال ولا ينبغي أن يستدل بقراءته سورًا ولاءً علىٰ أنّ ترتيبها كذلك[٢].

أقول: ومما يستدل به أنك ترىٰ السورة الواحدة من القرآن تغطي موضوعًا معينًا ثم تأتي السورة التي بعدها لتناقش موضوعًا متممًا للموضوع الذي طرحته السورة السابقة، أو موضوعًا أشارت إليه السورة السابقة بإيجاز فتأتي السورة التي بعدها لتفصل القول بهذا الموضوع، وهذا الذي يسميه أهل العلم (بعلم المناسبات).

❁❁❁

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٢١٩).
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٢١٩).

عناصر موضوع السورة
نموذج مقترح

وللوقوف علىٰ موضوع سورة من سور القرآن، يجب التَّدبُّر والنظر خلال ما أَسْميتُهُ (عناصر موضوع السورة) وعناصر موضوع السورة كما نراه هي مجموعة من الأمور التي تُحدد وتُلقي الضوء علىٰ موضوع السورة وتبين الوحدة الموضوعية في السورة والتي بها يمكن نضبط موضوع السورة المقترح، نذكرها ثم نفصِّل القول فيها:

١- **اسم السورة** كما هو في المصحف أو كتب التفسير أو كتب الحديث ومعناه التحليلي.

٢- **مَطلعْ أو (صدر) السورة** وهي الآيات الأُول من السورة التي تُؤسس لموضوع السورة.

٣- **المواضيع الفرعية** في السورة وهي المواضيع الجزئية التي تكون الموضوع الرئيس في السورة، وغالبًا ما تكون هذه المواضيع أركان وشروط وملحقات الموضوع الرئيس، وهي جميع آيات السورة، خلا مَطلع السورة وخاتمتها.

٤- **خاتمة السورة** وهي آخر آيات في السورة تربط وتتمم المواضيع المطروحة في السورة مع موضوع السورة مع صدر السورة.

٥- **مناسبة السورة** مع السورة التي قبلها، والتناسب علىٰ نوعين:

- تناسب موضوع السورتين بالعموم حسب ترتيبهما في المصحف، كأن تأسس سورة لموضوع ثم تأتي السورة التالية شارحة موضحة، كما في الفاتحة ثم البقرة.

- تناسب الآيات في مطلع السورة مع الآيات في خاتمة السورة التي قبلها.

٦- **معرفة موضوع السورة من خلال الأحاديث والآثار.**

٧- **نسقٌ ظاهرٌ في السورة** وهذا يظهر جَلِّيًا في بعض السور كسورة الطارق، وسورة الواقعة، والحاقة، والرحمن.

عناصر موضوع السورة:

من الوحدة الموضوعية في السورة في موقعنا

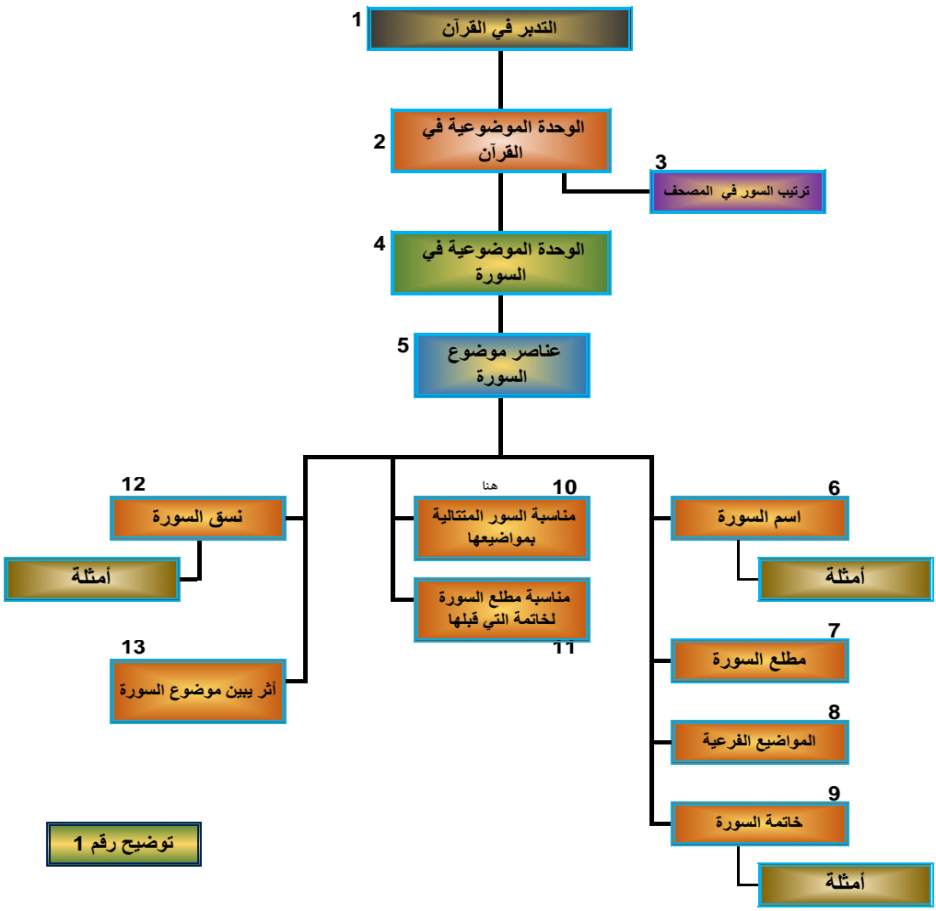

اسم السورة

ذكر السيوطي في الاتقان في علوم القرآن: وقد ثبت جميع أسماء السّور بالتّوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبيّنت ذلك[1]، وعليه فإن المتدبر في مناسبةِ اسم السورة لموضوعها يجد رابطًا قويًا ظاهراً بينًا في سورٍ كثيرةٍ، وعليه فإن أول الهدايات للوقوف علىٰ موضوع السورة هو اسم السورة، فهو علىٰ ارتباط وثيق بطريقة ما مع موضوعها، لكن في بعض السور قد تخفىٰ هذه العلاقة فتحتاج لبحث وتأمل، وهي إحدىٰ مواد التدبر في القرآن، نمثل لكل نوع:

١- الترابط الواضح بين اسم السورة وبين موضوعها: سورة نوح عليه الصلاة والسلام، فموضوع السورة يلخص قصته مع قومه من بدايتها إلىٰ نهايتها، وكذلك الفاتحة فهي تفتتح كتاب الله بالمعاني العظيمة وقد أجاد ابن القيم -رحمه الله- في كتابه مدارج السالكين في بيان أن القرآن كله متضَمنٌ في الفاتحة، وفيه كلام بديع يؤسس لما ذكرنا ويؤكد عليه، ومن أمثلته كذلك سورة يوسف عليه السلام، وسورة الواقعة والحاقة.

٢- الترابط الخفي: أما السور التي قد يخفىٰ تعلق اسمها بموضوعها، كسورة الحديد، والمائدة، آل عمران، والأعراف، وغيرها من السور، لكن نؤكد أن الترابط بين اسم السورة وبين موضوعها، وإن خفي فهو موجود، وإنَّ خفاءه لا ينفىٰ وجوده،

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٨٦/ ١).

وعليه نحتاج للتّدبّر والنّظر لمعرفة هذا الترابط، للوقوف بدقة علىٰ موضوع السورة.

ومن السور التي ظهرت لنا علاقة اسمها بموضوعها بعد بحث وتوفيق من الله علىٰ سبيل المثال سورة النساء، فالناظر في سورة النساء يرىٰ النساء رمزاً للضعف ثم السورة تناقش موضوعين علىٰ هذا الأساس، أولهما إذا كنا في منزلة الضعف كيف نتصرف التصرف الشرعي كما أمرنا تعالىٰ، والثاني إذا كنا في منزلة القوة كيف نراعي ونتعامل مع منزلة الضعف ضمن التصرف الشرعي كما أمرنا تعالىٰ.

مثال آخر: سورة يونس عليه السلام، نرىٰ أن الموضوع الرئيس في هذا السورة: أن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل الرسل مبشرين ومنذرين والعهدة علىٰ المُنذَرين هم من يحدد الفوز أو العقاب، وهذا مثال واضح قوم يونس لما أمنوا نجَّاهم الله وأهلك غيرهم من الأقوام التي لم تؤمن.

مثال آخر: سورة الأعراف: فالعُرف في اللغة: العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما علىٰ تتابع الشّيء متّصلًا بعضه ببعضٍ، والآخر علىٰ السّكون والطّمأنينة[1]، وللجمع بين الأصلين ذلك أن الشيء إذا تتابع ظهوره وتعرضه لك اطمأنت نفسك له وسكنت فأصبح معروفًا لديك، والأعراف المذكورة في الآية هي المكان المرتفع من الأرض ويسمىٰ عرفًا لأنك كيف نظرت رأيته فتتابع ظهوره لك حتىٰ عرفته كذلك الأعراف جمع عرف يقال لما تعارف عليه قوم حتىٰ أصبح مشهوراً معلومًا

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٨١/ ٤).

لجميعهم، وهنا يكون ارتباط اسم السورة بموضوعها يا أيها النبي عليه السلام ومَنْ بعدهِ المؤمنون يجب عليكم اتخاذ ما سوف يأتي في هذه السورة من آيات وأحكام أعرافاً بينكم تطمئنُ لها نفوسكم وتسكن، أحكام لا يختلف عليها اثنين كما يقال في أعراف الناس، شيء مفروغ منه لا جدال فيه، ومن جهة أخرىٰ وأنا انظر في آيات السورة أرىٰ كل آية لوحة مضيئة عالية ظاهرة بادية كأنها إعلان لتقع في النفس، هذا اعلان من الله وإعلام لا تجعله يخفىٰ عنك، ولا يغب عن خلدك، اجعله مستقراً في فؤادك اتَّبعه دائما كما في أول السورة: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:١-٣].

ومن الطرق النافعة في الاستدلال والتعرف علىٰ موضوع السورة من اسم السورة البحث في معنىٰ اسم السورة التحليلي من المعاجم.

❁❁❁

تفسير اسم السورة التحليلي اللغوي

لمدة ليست بالقليلة كنت أتفكّر في موضوع سورة الحديد، وفي يوم قرأت بداية السورة وخطر في بالي كلمة حديد علىٰ أنها وزن (فعيل) من الفعل المضعف (حَدَّ) فنظرت إلىٰ معناه التحليلي الدقيق في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس:

(حَدّ)الحاء والدّال أصلان: الأوّل المنع، والثّاني طرف الشّيء.

فالحدّ: الحاجز بين الشّيئين. وفلانٌ محدودٌ، إذا كان ممنوعًا. و(إنّه لمحارفٌ محدودٌ)، كأنّه قد منع الرّزق. ويقال للبوّاب حدّادٌ، لمنعه النّاس من الدّخول، وسمّي الحديد حديدًا لامتناعه وصلابته شدّته. والاستحداد استعمال الحديد. ويقال حدّت المرأة علىٰ بعلها وأحدّت، وذلك إذا منعت نفسها الزّينة والخضاب والمحادّة المخالفة، فكأنّه الممانعة. ويجوز أن يكون من الأصل الآخر، ويقال: ما لي عن هذا الأمر حددٌ ومحتدٌّ، أي معدلٌ وممتنعٌ. ويقال حددًا، بمعنىٰ معاذ اللّه. وأصله من المنع، وحدّ العاصي سمّي حدًّا لأنّه يمنعه عن المعاودة.

وأمّا الأصل الآخر فقولهم: حدّ السّيف وهو حرفه، وحدّ السّكّين [١].

فعرفت أن أغلب معاني الفعل تدور حول الحد الذي يأتي بالمنع فحد الشيء أي طرفه يمنع من دخول غيره فيه، فحدود البيت تمنع من دخول غيره فيه، فنظرت في السورة وبكل سهولة رأيت الحد والمنع في كل آية من آيات السورة، مع اختلاف موضوع الحد والمنع في كل آية، فعلىٰ سبيل المثال:

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢).

١- **الآية الأولىٰ**: حد بين الخالق والمخلوق فالمخلوق يسبح الخالق، ومنع من أن يخرج المخلوق عن التسبيح، حداً للعزة والحكمة في الله تعالىٰ دون خلقه.

٢- **الآية الثانية**: حد الملك، والإحياء والإماتة، القدرة المطلقة لله تعالىٰ، فهذه الصفات العلية ممنوعة علىٰ الخلق مقصورة علىٰ الله جَلَّ وعلىٰ.

٣- **الآية الثالثة**: حدود علىٰ جهتي كل من الزمان والمكان، فيمتنع أن يخرج خلق عن صفات الله العلية المذكورة في الآية، وفي نهاية الآية لا يمتنع شي عن علم الله ولا يخفىٰ عليه، فكل الخلق محدود محاط بعلم الله وقدرته مهما صغر ومهما كبر.

٤- قس علىٰ ذلك و**ابحث** في جميع الآيات عن الحدود والمحدود والممنوع بالحدود.

مثال آخر: سورة (طه) كانت من أصعب السور تدبراً لي من جهة اسم السورة ثم بتوفيق من الله وبعد تأمل في موضوعها ومحاولة الربط، تبين لي -والله أعلم- بعد مقارنة صفات الحرف الأول من اسم السورة وهو حرف (الطاء) ولِما له من صفات القوة كالاستعلاء والشدة والجهر والاطباق والقلقة ثم يليه الحرف الثاني (الهاء) وما له من صفات السهولة كالاستفلال والهمس والرخاوة والاصمات والانفتاح وسهولة المخرج وكأنه إخراج للهواء فقط، فيكون ارتباط اسم السورة بموضعها وكأننا نقول: قد يجد من اتبع شرع الله بعض الجهد لتطبيق شرع الله، ثم ما إن يلبث حتىٰ يحصل علىٰ جميع التسهيلات والبركات والخيرات في الدنيا والآخرة بفضل اتباع الشرع، وكأنها كما في نطق اسم السورة.

❁❁❁

مطلع السورة

بالتدبر وبعون الله وتوفيقه يقف الباحث علىٰ صدر السورة، والتي قد تكون آية واحدة أو عدة آيات، والتي بها يتبين مع عناصر السورة الأخرىٰ موضوع السورة، علىٰ سبيل المثال نأخذ سورة فصلت فصدر السورة هو الآيات ١-٥ فقد قال تعالىٰ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [فُصِّلَت:١-٥].

مهما حاول البشر التنصل والاضراب عن فهم آيات الله فلن يستطيعوا إلا أن يقع في قلوبهم الحق، وهذا تقرير في نهاية السورة فقد تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

أي أنه لن تتوقف الآيات من مقارعة النفوس ومحاججتها حتىٰ -وهو حرف غاية- يقع الحق في قلوب كل البشر، المؤمن منهم والمعاند، بلا استثناء فلا عذر بالجهل ولا عذر بعدم الفهم.

مثال آخر سورة النساء

فصدر السورة هو الآية الأولىٰ فقط، فقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

سبق وأن ذكرنا أن موضوع السورة هو بيان كيف نتبع شرع الله ونحن في حال الضعف وكيف نتبع شرع الله ونتعامل مع الضعفاء ونحن في حال

القوة، وحسب ما نرىٰ أن الآية قسمت الناس إلىٰ ذكر يكون رمزاً للقوة في الغالب، وأنثىٰ تكون رمزاً للضعف، ثم بينت الآية المقصود هو تقوىٰ الله في الحالين.

مثال آخر سورة القصص فقد تعالىٰ: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣﴾ [القصص:١-٣].

لقد ذكر الله تعالىٰ قصة سيدنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام في كثيرٍ من السور، وغالبا ما تكون الإشارة إلىٰ قصة هذا النبي العظيم مع قومه في هذه السور حسب مناسبة موضوع السورة لجانب من جوانب قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، ولكن لمّا كانت سيرة نبي الله موسىٰ مع قومه من أعظم السير بعد سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام، استحقَّت أن تفرد في سورة بأسلوب قصصي متتابع يغطي تسلسل أحداث هذه السيرة، وسميت سورة القصص.

المواضيع الفرعية

إن القرآن الكريم هو كلام الله جَلَّ وعلىٰ، وصفته سبحانه وبحمد، ونحن نتدبر في كلام الله سبحانه وتعالىٰ للوقوف علىٰ بعض معاني كلام الله الذي لا يعلم مراده إلا هو جَلَّ وعلىٰ، وقد أمرنا سبحانه وتعالىٰ بالتدبر في كلامه، وامتثالاً لأمره تعالىٰ نحاول العثور علىٰ بعض مراده سبحانه وتعالىٰ في مناسبة ذكر بعض الآيات خلال سياق السورة ذات الموضوع الواحد، وهو ما قد يسمىٰ المواضيع الفرعية التي تؤسس وتكمل موضوع السورة الرئيس، وعلىٰ سبيل المثال قال الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة:٢].

أي أن هذه السورة سوف تبين سبيل الهدىٰ والتقوىٰ للبشر، وعليه تبدأ السورة ببيان صفات المتقين ثم تبين أنواع الناس بالنسبة للهدىٰ، ثم تبين أصل التكليف بقصة أبينا آدم عليه السلام، ثم تبين مثالاً عن إيمان وأخطاء أمة عظيمة سابقة في التكليف وهم بنو اسرائيل، ثم لا تنفك السورة تبين وتذكر أساس كل شرائع الإسلام حتىٰ أنه لم يبق شيء من شرائع الإسلام، إلا وذُكر أصله وبعضُ تفصيلهِ في هذه السورة العظيمة، وهذا سهل بيّن، مع أننا يمكن أن نفصِّل في كل آية علىٰ حدة في كيفية ارتباطها بالموضوع الجزئي وكذلك بالموضوع الرئيس للسورة.

مثال آخر سورة الحجرات

إن هذه السورة العظيمة تبين أُسس الاتصال والتعامل مع الآخرين علىٰ جميع المستويات، فتبدأ بمكانة الله سبحانه وتعالىٰ ثم بمكانة نبيه عليه الصلاة والسلام ثم بعد ذلك مكانة المؤمنين، وأن لكلٍ حرمٌ وحدودٌ يُمنع

تجاوزها من قبل الآخرين، علىٰ أن يكون التواصل من خلال أُطر ونُظم لا ينبغي تجاوزها، ثم يأتي التقرير والبلاغ الرسمي بأن الحكمة من قانون التواصل هذا، هو امتحان واختبار لنا جميعا بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣].

ثم يأتي التقرير النهائي لهذه السورة العظيمة، أن هذا التنظيم وهذا المنهج هو حق به تصلح الدنيا والآخرة، فقال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحُجُرات:١٨].

ويمكن الاستئناس بما جاء في صحيح البخاري رحمه الله عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: **إنّ الحلال بيّنٌ، وإنّ الحرام بيّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهنّ كثيرٌ من النّاس، فمن اتّقىٰ الشّبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشّبهات وقع في الحرام، كالرّاعي يرعىٰ حول الحمىٰ، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإنّ لكلّ ملكٍ حمًىٰ، ألا وإنّ حمىٰ الله محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغةً، إذا صلحت، صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت، فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**[1].

الشاهد قوله (حول الحمىٰ) فقد جُعل لكل ملك حمىٰ، أي جزء محمي من الآخرين لا يجوز لهم التعدي عليه.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

خاتمة السورة

قال الله تعالىٰ: ﴿.....وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥]. إن المتدبر في خواتيم السور ليلحظ ويرىٰ ارتباطها الوثيق بموضوع السورة الرئيس، والذي يكون ظاهراً بيناً تارةً، ويحتاج لبحث وتدبر في سورة أخرىٰ، ومن أساليب تعلق الخاتمة بموضوع السورة أن تكون الخاتمة تبريراً وتعليلاً لما ورد في السورة كما قال تعالىٰ في خاتمة سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ [المائدة:١٢٠].

لقد ابتدأت السورة بإلزام المؤمنين العقود والأحكام الشرعية التي كلفها الله للعباد فقال تعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة:١].

وانتهت هذه الآية بأن الله يحكم ما يريد، لماذا يحكم ما يريد؟ لأن له ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو علىٰ كل شيء قدير، لا رادّ، ولا معّقب ولا مانع ولا خارج عن حكمه، فأولىٰ لكم أيها المؤمنون أن تطيعوا أمره وتقبلوا حكمه، فأنتم له وفي ملكه وإليه مرجعكم ولا معقّب لحكمه.

مثال آخر خاتمة سورة البقرة لما سأل المؤمنون ربهم الهداية إلىٰ صراطه المستقيم في سورة الفاتحة، فاستجاب لهم ربهم وأنعم عليه وأنزل سورة البقرة وقد سبق وأن ذكرنا أن هذه السورة لم تترك شيئاً من شرائع الإسلام إلا وذكرته، وحذرت من العدو الرئيس وحذرت من مزالق الأمم، ولما كان الإنسان ضعيف بنفسه قوي بعون ربه، جاءت خاتمة السورة لتبشر المؤمنين وتطمئنهم أن الله لن يحاسب العبد عما جرىٰ فوق طاقته،

وكذلك علَّمنا كيف نستقبل شرع الله بالدعاء والتضرع الذي هو أساس العبودية مقرّين بضعفنا وعجزنا، مستشعرين رحمة ربنا علينا، وأننا وإن ضعُفنا وخذلتنا أنفسُنا فنحن أهل لذلك، ولكن لا نعصي ربنا تهاونًا وعناداً واستكباراً فقال تعالىٰ:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

حتىٰ أننا يمكن اعتبار الآيتين التي قبلها من خاتمة السورة فنقول بعد أن ذكر الله جَلَّ وعلىٰ التشريع الإسلامي الدين الخاتم الباقي إلىٰ يوم القيامة فجاءت الآيات:

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٤-٢٨٥].

فيها التقرير والإعلان النهائي المناسب لهذا التشريع وتعليلاً وإقناعًا لهم بوجوب اتباعه فهو من عند الله جلّ وعلىٰ، وأننا لن نخرج عن قدر الله، وعلمه محيط بنا وإليه مردنا ومصيرنا، ولله المشيئة المطلقة بالغفران والمحاسبة، ثم يأتي إعلان موقف رسولنا عليه الصلاة والسلام والرسل جميعًا عليهم السلام بأنهم مقرّون مسلمون مؤمنون، ونحن تَبَعٌ لخير سلف نقول سلّمنا وسمعنا خطابك، وقبلنا به شرعًا وحكمًا وسلَّمنا له

واتبعناه، فيارب اغفرْ لنا، فإليك مردنا، ثم يأتي رد الله في الآية الأخيرة كما ذكرنا سابقا.

نسق السورة

ومن عجائب القرآن أن هناك سُورٌ لها نسق معين تراه ظاهراً من أول السورة إلىٰ نهايتها، مخبراً عن موضوعها، علىٰ سبيل المثال: سُورةُ الطارق فقد قال الله تعالىٰ:

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق:١-٣].

إن نسق السورة يظهر جَلَّيا في تفسير الطارق وهو النجم الثاقب، فقد ذكر ابن فارس في مقاييس اللغة:

ثقب: الثّاء والقاف والباء كلمةٌ واحدةٌ، وهو أن ينفذ الشّيء [١].

والنفاذ لا يكون إلا بوجود النافذ الثاقب، ووجود الوسط الممانع الذي ينفذ فيه، بعد ذلك يمكن ملاحظة أولاً تعريف الطارق بالنجم الثاقب، ثم أن قدر الله نافذ في كل نفس خلال ما عليها من الحفظة، ثم أصل خلق الإنسان وكيفية خروجه نافذاً من الحويصلات المنوية والإحليل، ثم يستقر في رحم الأم، ثم يولد الطفل نافذاً من عضلات الرحم وعضلات المهبل إلىٰ الدنيا، ثم ذكر إعادة الله الخلق يوم القيامة، نافذين نابتين من الأرض كما ينفذ النبات من الأرض، ثم نفاذ وظهور حقيقة السرائر علىٰ ما يغطيها ويسترها، وذلك عند ابتلائها يوم القيامة، وبالمقابل يكون الإنسان لا قوة له ولا ناصر فلا ينفذ كيده ولا ينفذ دفعه لقدر الله، ثم إن السماء ينفذ إليها الماء معاكسـًا ومقاومـًا الجاذبية الأرضية فيُحمل سحابـًا، ثم ينزل المطر نافذاً من قوىٰ الرفع التي تحمل السحاب، وذلك عند بلوغ حجم حبة المطر أو الثلج لثقل معين، يزيد عن قوىٰ الرفع، ثم أن النبات ينفذ من

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٨٢).

خلال الأرض إلىٰ سطحها مصدعاً أجزائها خارجاً بساق النبات، ومصدعاً ونافذاً خلالها إلىٰ العمق بجذور النبات، ثم إن القرآن كلامه ينفذ بين الحق والباطل فاصلاً بينهما، ثم أن قدر الله وكيده ينفذ ويظهر علىٰ كيد الكفار، وبعد أن رأينا هذا الحشد من القوة والنفاذ، فيما يشاهد من الخلق، فيستقر في النفس قوة الله علىٰ عقاب الكفار، بعد أن يعيدهم كما خلقهم أول مرة، وهم لا حول لهم ولا قوة ثم يتحقق خبر القرآن العظيم في هلاك وعذاب الكفار، مع كل الكيد الذي بذلوه للنيل من الدعوة والإسلام والمسلمين، ومع كل الكيد الذي بذلوه ليردوا عذاب الله عنهم (هذا مختصراً) من تأملاتنا في سورة الطارق.

أثر يبين موضوع السورة

إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم هم أول من فهم القرآن، وأول من سمعه، وهم أهل اللغة الذين تحداهم الله به، فهم أولىٰ بمعرفة مواضيع السور، ومن هذا ما جاء في الأثر في سورة النصر **عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يدني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمرُ ابنَ عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾** [النصر:١]. **فقال: أجَلَّ رسول الله أعلمه إياه، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم**(١).

ومنها ما جاء في سورة الفتح فقد روىٰ مسلم في صحيحه **في نهاية قصة صلح الحديبية وما حدث بين عمر بن الخطاب والرسول عليه الصلاة والسلام وقد بقي في نفس عمر رضي الله عنه بعض الحرج، حتىٰ نزل القرآن علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بالفتح، فأرسل إلىٰ عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم فطابت نفسه ورجع**(٢).

❁❁❁

(١) رواه البخاري (١٣٢٧) باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) رواه مسلم (١٤١١) باب صلح الحديبية في الحديبية.

مناسبة السور المتتالية بمواضيعها

جرىٰ الكلام سابقا علىٰ أن الراجح في ترتيب سور المصحف أنه توقيفي، ولما كان هذا القرآن معجز في كل شيء، كانت إحدىٰ نواحي الإعجاز مناسبة موضوع السورة لما قبلها من السور.

المناسبة لغة: (نَسَبَ) النّون والسّين والباء كلمةٌ واحدةٌ قياسها اتّصال شيءٍ بشيءٍ. منه النّسب، سمّي لاتّصاله وللاتّصال به[١].

علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة[٢].

علىٰ سبيل المثال:

جمعت سورة الفاتحة جميع معاني القرآن، ثم جاءت سورة البقرة شارحةً مبينةً حتىٰ أنها لم تترك أصلاً من أصول الشرع إلا وذكر فيها، ثم جاءت سورة آل عمران رمزاً لقوم اتبعوا ما جاء في سورة البقرة وكيف أَنعَمَ عليهم جَلَّ وعلىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران:٣٣].

ثم جاءت سورة النساء لضبط الحدود القصوىٰ للمسلم مبينةً كيف يتبع شرع الله وهو في أقل أحواله ضعفـًا، وكيف يتقي الله وهو في أقوىٰ أحواله قوةً، ثم جاءت سورة المائدة شارحةً ما بين ذلك من تقوىٰ الله واتباع أمره.

مثال آخر: بين الله عزّ وجَلَّ في سورة الفتح أن صلح الحديبية هو فتح للإسلام والمسلمين وأن الله رضي عن المؤمنين الذي بايعوا الرسول عليه

(١) مقاييس اللغة (٤٢٣/ ٥).

(٢) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَىٰ مَقَاصِدِ السُّوَرِ، البقاعي (١٤٢/ ١).

الصلاة والسلام تحت الشجرة، وهم الذي ضاقت عليهم أنفسُهُم ولولا فضل الله ورحمته لهلكوا، فقد روىٰ البخاري في صحيحه أحداث الصلح والحوار الذي دار حينئذٍ، وكيف أن المؤمنين من شدة ما وقع في نفوسهم من الغم والهم لم يستجيبوا لأمرِ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بأن يحلقوا رؤوسهم، فأشارت عليه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فقالت: **اخرج ثمّ لا تكلّم أحدًا منهم كلمةً، حتّىٰ تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلّم أحدًا منهم حتّىٰ فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا**[1].

في قصة طويلة وأحداث عظيمة وفي نهاية الأمر استسلم المؤمنون إلىٰ أمر الله وعظمّوا مقامه وأمره، لكن بعد اجتهاد وتفكر، ثم تأتي سورة الحجرات فتستثمر هذا الحدث العظيم، وكيف أن أمر الله الذي قد يبدو فيه شر للناس -فيما يبدو لهم- يحملُ الخير العظيم، وذلك لأن الله عزّ وجَلَّ لا يختار للمؤمنين إلا خيراً، وعليه يكون التأصيل والأصل الأصيل والقاعدة العظيمة هو تقديم أمر الله وأمر رسوله علىٰ كل رأي وأمر، وأن يُجعلَ لله مقاماً في نفوس المؤمنين لا يقبلون في أنفسهم ولا يرضون منازعته أي أمر، مهما علىٰ أو كُبر، ثم تتدرج السورة في المقامات فتضع للرسول عليه الصلاة والسلام مقاماً ثم تبدأ السورة بوضع وبيان مقامات المؤمنين بإسلوب تفصيلي وفي نهاية السورة تضع المعيار الحقيقي والمقام الحقيقي لكل مؤمن.

وللاستزادة من مناسبات السور نذكر بعض الكتب التي اهتمت بذلك:

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ للبقاعي.

٢- مصاعد النّظر للإشراف علىٰ مقاصد السّور، للبقاعي.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٩٦/ ٣).

٣- والبرهان في تناسب سور القرآن؛ لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي

٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع؛ للسيوطي.

٥- تناسق الدرر في تناسب السور؛ للسيوطي.

٦- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور؛ للشيخ عادل بن محمد (أبو العلاء).

٧- وعلم المناسبات في السور والآيات؛ للدكتور محمد بازمول.

٨- إمعان النظر في نظام الآي والسور؛ للدكتور محمد عناية الله سبحاني.

٩- أثر المناسبة في توجيه المعنىٰ في النص القرآني-رسالة دكتوراه للدكتور محمد عامر محمد.

١٠- دلائل النظام؛ للشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي.

١١- المناسبات بين الآيات والسور: فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها؛ للدكتور سامي جامعة آل البيت.

المناسبة بين مطلع السور وخاتمة ما قبلها

مطلع السورة وهي الآيات الأُولْ من السورة التي قد تحدد موضوع السورة، وكما أن خاتمة السورة تنهي موضوع السورة بمعنىٰ مناسب لمطلع السورة ولجميع آيات السورة الواحدة، والمتدبر لكتاب الله يتضح له غالبا ارتباط وتعلق خاتمة السورة لمطلع السورة التي تليها، وإن خفي بعضها، فهو موجود ويحتاج لبحث وتأمل نمثل لذلك في خاتمة سورة النجم: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢].

وكان مطلع سورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر:١].

أي أن خاتمة سورة النجم تأمر الناس بالسجود والعبادة وتأتي سورة القمر لتبين للناس سبب هذا الأمر وهو أن الساعة اقتربت.

مثال آخر خاتمة سورة الواقعة: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة:٩٦].

ومطلع سورة الحديد:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد:١].

وكأن مطلع سورة الحديد تقول للسامع: في سور الواقعة بعد ان أُمر بالتسبيح، ومالك ألا تسبح فالكون كله يسبح باسم ربه العظيم، ولا تمنّ علىٰ الله بتسبيحك فالكون كله سبَّح باسم ربه العظيم، ولا تمنّ علىٰ الله بتسبيحك فالله هو العزيز الذي يصعب نوله، منزه عن العيب والنقص، الحكيم بأفعاله وأقواله وصفاته، فهو منزه عن كل نقص وعيب، وهو مستغن عن تسبيحك لكمال عزته وحكمته وعظيم صفاته، بل أنت الذي تحتاج لهذا التسبيح، حتىٰ يخرج من قلبك كل تعلق بغيره جَلَّ وعلىٰ ولا يبقىٰ في قلبك مأمول ولا مرجو إلا هو جَلَّ وعلىٰ.

وقال الله في نهاية سورة القمر: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

وفي بداية سورة الرحمن بيَّن الله عزّ وجَلَّ أنَّ المليك المقتدر هو الرحمن جَلَّ في علاه فقال جَلَّ من قائل ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾ [الرحمن:١].

مثال آخر جاءت نهاية سورة الماعون بقوله جَلَّ وعلىٰ: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون:٧].

وفيها ذكرٌ لبعض صفات الكفار وأنهم يمنعون العون لغيرهم، ثم تأتي سورة (الكوثر) مزلِّزلة مدوّية تقرر أن الله أعطىٰ نبيه ومن تبعه من الناس (الكوثر) فقد روىٰ البخاري **عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: (هو الخير الذي أعطاه الله إياه)** [١].

الكوثر معرّف بأل التعريف محذوف المعمول وهو تعبير بلاغي عربي يُعمم المعنىٰ المراد ويُطلقه لكل ما يَحتمله اللفظ من معنىٰ، فمثلاً لو قال إنا أعطيناك الكوثر من الدنيا أو قال من الآخرة أو قال الخير لكان قصراً وتقليلاً، لكن ذُكرت بدون معمول، أي أنا أعطيناك الكوثر أي الكثرة من كل شيء، أضف إلىٰ ذلك أنها جاءت بصيغة الكثرة علىٰ وزن (مفعل) وهي صيغة اسم الفاعل معرفة بال التعريف الذي يفيد العموم وحصر الكثرة للنبي صلىٰ الله عليه وسلم من كل شيء له ولأمته.

وكذلك خاتمة سورة مريم، ذكر الله فيها ما أعده للمؤمنين، وأن الله أرسل القرآن مبشراً المتقين ومنذراً المعاندين المتعنتين: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم:٩٧-٩٨].

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٧٨).

ثم جاء صدر سورة طه أن الله لم ينزل القرآن ليشقىٰ به المؤمنون: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه:١-٣].

بل ليذكّرهم فيذهب عنهم الشقاء، ويجَلبُ لهم السعادة، والهناء، والفوز، والنجاة، وكيف أن الشقاء والضنك للمعرضين عن القرآن وعن أمر الله جَلَّ وعلىٰ.

مناسبات أخرى في القرآن
مناسبات مقترحة

سبق وأن ذكرنا بعض المناسبات في بحثنا (عناصر موضوع السورة)، وهناك مناسبات أخرىٰ ذكرها أهل العلم وبحثوا فيها وكتب أهل العلم مليئة بها نذكر شيء منها، ويمكن التوسع فيه لمن يشاء:

١- المناسبة في اختيار اللفظ.
٢- مناسبة التركيب اللغوي للمعنىٰ المقصود.
٣- المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة.
٤- المناسبة بين الآية وما قبلها عموماً.
٥- المناسبة بين الآية وما بعدها.
٦- المناسبة بين الآية وأول السورة.
٧- المناسبة بين صدر الآية وأجزائها وختامها.
٨- المناسبة بين صدر الآية وخاتمة التي قبلها مباشرة.
٩- المناسبة بين أوائل السور وأواخر ما قبلها.
١٠- المناسبة بين آخر السورة وأولها.
١١- المناسبة بين مجموعة سور.
١٢- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها.
١٣- المناسبة بين اسم السورة وموضوعها.

في اختيار اللفظ

سبق وأن ذكرنا أن في اللغة الغربية لا يوجد كلمة تطابق كلمة من كل وجه، وتكلمنا عن الكلمات (المتكافئة)[١] كما سمّاها ابن تيمية وتلميذه – رحمهما الله– فمثلا قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن:١٧].

فكلمة (تقرضوا) قد يفسرها البعض بالصدقة وهو بعض المعنىٰ، لأن الله سبحانه وتعالىٰ أراد إضافة معنىٰ آخر علىٰ الصدقة، فمن فسرها بالصدقة فقط، فقد أغفل معنىً عظيماً جداً سيقت كلمة القرض لتأكيده، فلو نظرنا في معنىٰ القرض في اللغة تحليلياً من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس:

(**قَرَضَ**) القاف والرّاء والضّاد أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلّ علىٰ القطع. يقال: قرضت الشّيء بالمقراض والقرض: ما تعطيه الإنسان من مالك لتقضاه وكأنّه شيءٌ قد قطعته من مالك [٢].

القرض في الاصطلاح: هو دفع المال إلىٰ الغير لينتفع به ويرد بدله [٣].

فالله يسألكم الصدقة علىٰ الفقراء ثم يعتبر ذلك قرضاً يتعهد بإعادته، هذا بالإضافة إلىٰ أن الرزاق هو الله، والمال ماله والأمر كله إليه، والله فطر الناس علىٰ حب المال، ومن رحمته بهم تعهد لهم بإعادة المال قبل أخذه منهم ترغيباً منه لعباده ليتصدّقوا ولينفقوا في سبيله عزّ وجَلَّ، وغيرها من المعاني التي قد تظهر لك أو لغيرك، انظر إلىٰ تلك المعاني العظيمة التي

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٤٢٤/ ٢٠).
(٢) المبدع في شرح المقنع (١٩٤/ ٤).
(٣) مقاييس اللغة (٧١/ ٥).

ظهرت بقليل من التدبر والحرص علىٰ فهم دقة اللفظ القرآني، ومثل هذا فقس، فلا تفسر كلام الله بكلام لم يقله، ولو أرد تعالىٰ قوله، لقاله، وذلك أن تفسر كلمة من كلام الله بكلمة أخرىٰ فقط دون ملاحظة الفرق بينهما، ولكن **ابحث** عن المعنىٰ الدقيق لك كلمة لترىٰ عظمة ودقة اللفظ القرآني، وتدبر وأطلق لفكرك العنان في كل حرف وفي كل كلمة ذكرت في القرآن.

التصريف اللغوي للمعنى المقصود

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المُلك:١٩].

انظر إلىٰ الكلمة (صافات) والكلمة (يقبضن) كان الأفضل في السياق النسقي أن يقال: قابضات، ولكن المصدر صافات يفيد التلبس في الفعل أكثر من الفعل (صافات: أي باسطات الجناحين)، وبعد النظر في حال الطيور يتبين لنا أن غالب حال الطيور هو بسط الجناحين في الهواء، فاستحق الفعل أن يذكر بالمصدر، ولما كانت حالة القبض أقلها تكرراً من الطير استحق ذكرها بصيغة الفعل والذي يستشرف منه قل تكرار الفعل.

مثال آخر في قوله تعالىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة:٦].

انظر لقوله: و(امسحوا برؤوسكم) رؤوسكم مجرورة بحرف الجر وعلامتها الخفض أي الكسر علىٰ حرف السين، ثم جاءت كلمة (وأرجُلَكم) معطوفة علىٰ الوجوه، وقد جرت العادة أن تذكر المتشابهات، ثم تذكر بعدها غيرها، إلا أن ذكر المسموح وهو الرأس وهو مجرور بين مغسولين وهم الأيدي والأرجَل، دل ذلك علىٰ وجود معنىٰ مقصود وهو لزوم الترتيب بين الأعضاء في الوضوء كما جاءت به الآية.

مثال آخر في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل:٤٥].

انظر إلىٰ الكلمتين (فريقان يختصمون) فكلمة فريقان مثنىٰ والفعل جاء في صيغة الجمع فمن حيث النحو واللغة يجب أن تكون الكلمة (يختصمان) ولكن هذا كلام العزيز العليم، فقد لوحظ في السياق أن الفريق هو عبارة عن جمع من الناس وليس كيان واحد ينسب له الفعل فكان الفعل منسوبـًا لأفراد الفريقين وهم جمع من الناس فجاء الفعل في صيغة الجمع.

بين الآية وما قبلها مباشرة

قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة:٢-٣].

أنظر كيف أن الآية الثالثة هي مبينة صفات المتقين الذي يهتدون بذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، وعليه قف في كل آية و**ابحث** عن ارتباط الآية بما قبلها مباشرة من الآيات، وسترىٰ عظمةً، وإعجازاً وعلماً لا حصر له، ثم إيمان وإخبات في القلب، لا يعلمه إلا الله.

❁❁❁

بين الآية وما قبلها عموماً

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة:٢١].

لما ذكر الله سبحانه وتعالىٰ أن هذا القرآن هو هدىٰ للمتقين، ثم بين انقسام الناس في تلقي القرآن، ذكر العلة العقلية الموجبة لعبادته، وهي أنه هو الخالق المدبر له الملك، والعبادة لا تكون إلا بمنهج وهذا هو المنهج القرآن الكريم، ثم ختمت الآية (لعلكم تتقون) إن فعل (اتقىٰ) فعل متعدي يحتاج إلىٰ مفعول به فإنك تقول: (اتقىٰ محمد البرد)، ولكن في الآية لم يذكر المفعول به، وهذا ضرب من ضروب البلاغة في العربية، حيث يحذف المفعول به لمعنىٰ مراد، وفي حالتنا هذه قصد عموم ما يجب اتقائه، أو ما يتقىٰ من الشر غالبا، وعليه نلخص فهمنا لقوله تعالىٰ في هذه الآية: يأيها الناس من أراد منكم أن يتقي السوء والشر في الدنيا والآخرة فعليه اتباع ما جاء في هذا القرآن، فإن فعل فهو عابدٌ لله الذي له الأمر كله من قبل ومن بعد، ولا مستحق للعبادة سواه.

مثال آخر قال الله تعالىٰ:

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ

تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ [النحل:٧٨-٨١].

في الآيات السابقة ذكر سبحانه جلَّ وعلىٰ شيئًا من نعمه التي لا تعد ولا تحصىٰ، ثم الآية الأخيرة تقرر أن كل ما سبق من النعم الضرورية التي ذكرت في سورة النحل قبل هذه الآيات قد تمثل النعم المكملة والنعم المرفهة للإنسان وبهذا تكتمل نعم الله علينا، خالقنا وربنا الذي سخر لنا الكون كله فهو المستحق بالعبادة وهو المستحق بالاستسلام له والانقياد لحكمه وهديه.

بين الآية وما بعدها

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة:١٥٣-١٥٨].

بهذه الآيات أمر الله جلّ وعلىٰ بالصبر وحث عليه وأكد حتمية الابتلاء، وبشرَ الصابرين وذَكَرَ مقولتَهم، وفي النهاية ذَكَرَ عظيم أجرهم، ثم ينتقل السياق لموضوع جديد وهو السعي بين الصفاة والمروة والرابط البديع بين عظيم أجر الصابرين والسعي بين الصفا والمروة، هو أنَّ سُنّة السعي وأجر من قام بها من بداية فرضها علىٰ الناس إلىٰ يوم القيامة، إنما هو في ميزان حسنات أُمُنَا (هاجر) عليها السلام أم اسماعيل عليه الصلاة والسلام، الصابرة المحتسبة التي صبرت علىٰ وحشة وادي مكة بدون ماء أو زرع أو أنيس، استجابةً لأمره تعالىٰ، فكان أجر صبرها أن يُكتب في ميزان حسناتها، أجرها وأجر من سعىٰ بعدها بين الصفا والمروة إلىٰ يوم القيامة، نسأل الله من فضله العظيم.

❁❁❁

بين الآية وأول السورة

قال تعالىٰ في أول سورة الأعراف: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:١-٣].

ثم خذ أي آية من السورة علىٰ سبيل المثال قصة أبينا آدم عليه الصلاة والسلام فعلينا اتباع ما جاء في كتابنا في قصته عليه الصلاة والسلام ولا نتبع ولا نصدق القصص التي يرويها أهل الكتاب عن سيرته.

مثال آخر لنأخذ حوار أهل الجنة وأهل النار، فعلينا التصديق واليقين بهذا الحوار وأن نردَّ كل ما جاء من قصص أهل الكتاب في هذا الشأن، كما نسأل الله جَلَّ وعلىٰ أن ينجينا من النار ويرحمنا ويجعلنا من أهل الجنة.

وعلىٰ العموم سورة الأعراف من السور التي يمكن ربط أي آية في السورة بمقدمتها بسهولة كما في سورة البقرة والفاتحة.

❁❁❁

بين صدر الآية وأجزائها وختامها

قال الله تعالىٰ:

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام:١٣].

وردَ في آخر الآية صفات الله جَلَّىٰ وعلىٰ (السمع) و(العلم) والآية تتكلم عن السكون، والسكون نقيض الحركة وعبّرَ الله عن الحركة والسكون بصيغة الماضي من فعل (السكون) والذي يثبت أولاً الحركة للجسم ثم يثبت له السكون، والمناسبة بين موضوع الآية ونهاية الآية عموماً أن الله سبحانه وتعالىٰ لا يخفىٰ عليه شيء إذ هو المتفرد بصفات الكمال والجَلَّال فله السمع المطلق والعلم المطلق، وقد نزيد ونقول ذكرت صفة السمع مع أن الحركة تلاحظ بالبصر، إشارة إلىٰ صفة أخرىٰ للحركة، وهي الصوت الذي ينتج من الحركة، ولتقريب المسألة يعلم الجميع أن جميع الكون يتكون من ذرات وأن أحد مكون الذرات هو الإلكترون وهو متحرك باستمرار لكن، له صوت لا نسمعه، والدليل علىٰ ذلك الصوت قف بجانب أي محول كهرباء واستمع لصوت الالكترونات مجتمعة، ولله المثل الأعلىٰ.

مثال آخر: قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة:٣٨].

ورد في آخر الآية صفة الله جَلَّىٰ وعلىٰ العزيز الحكيم والآية تتكلم عن حد السرقة وقد رُوي أنّ بعض الأعراب سمع قارئًا يقرأ: والسارق والسارقة إلىٰ آخرها وختمها بقوله: والله غفور رحيم فقال: ما هذا كلام

فصيح، فقيل له: ليس التلاوة كذلك، وإنما هي والله عزيز حكيم فقال: بخ بخ عز، فحكم، فقطع[١].

مثال آخر في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة:١٢٧].

في هذا الآية يبين لنا جَلَّ وعلىٰ حال أبينا إبراهيم وأبينا إسماعيل عليهم الصلاة والسلام وهم يعيدون بناء الكعبة، التي هي قبلة المسلمين من لدن إسماعيل حجًا وقبلتهم صلاةً من لدن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، عمل عظيم جَلَّيل أجره لا يعلمه إلا الله جلَّ وعلىٰ، لكن المخلصين الموحدين إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام لم ينظروا ولم يُعجبوا بعملهم ولم يشعروا بالمنة، ولكن بالخوف والرجاء من عدم القبول والتعلق بصفات الله عموما والسمع والعلم خصوصا، وسؤال الله القبول، فقه وعلم من آبائنا صلوات الله عليهم وسلامه، وخشية لله ورجاء له أن يقبل هذا العمل العظيم الذي أمرهم به أصلاً، والأمثلة كثيرة.

❁❁❁

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – تفسير سورة المائدة (٣٨).

بين صدر الآية وخاتمة التي قبلها مباشرة

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ١٣﴾ [آل عمران:١٠-١٣].

جاءت الآية الأولىٰ مقررة لمصير الكفار في الآخرة وبيان شيئًا من حالهم، ثم تنتقل الآية التي تليها إلىٰ مثلاً من الأقوام التي أهلكها بذنوبهم، وما هو مصيرهم في الآخرة وبيان صفة عذاب الله وأنه ليس كمثله شيء، ثم انتقال سريع برسالة من الله إلىٰ الكفار بان مصيرهم كمن سبقهم من الكفار، ثم تنزيل علىٰ أرض الواقع وكيف نصر الله الفئة القليلة المؤمنة علىٰ الفئة الكثيرة الكافرة، كما انتصر الله لرسله السابقين عليهم الصلاة والسلام، وتنتهي الآيات بتقرير مشيئة الله المطلقة بالنصر لمن يريد سبحانه وبحمده.

❁❁❁

مناسبة صدر السورة لخاتمتها

قال الله تعالىٰ في صدر سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾ [الرحمن:١].

ثم جاءت خاتمة السورة: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن:٧٨].

وأعادت الثناء والجَلَّال لاسم ربنا جَلَّ وعلىٰ الرحمن.

مثال آخر قال الله في صدر سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ [المائدة:١].

انتهت الآية الأولىٰ بقوله تعالىٰ (إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ) ثم تأتي الآية الأخيرة في السورة مقررة بأن لله ما في السماوات وما في الأرض وما فيهن وهو علىٰ كل شيء قدير مؤكدة بأن الحكم لله وأن له المشيئة المطلقة في أن يحكم ويشرع ما يريد وما يشاء فالخلق خلقه والكون كونه والعبيد عبيده.

فقد قال: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾ [المائدة:١٢٠].

مثال آخر قال الله في صدر سورة النمل: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [النمل:١-٢].

فكانت الإشارة إلىٰ القرآن الكريم ومهمته الهداية والبشارة ثم انتهت السورة بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢﴾ [النمل:٩٢].

فكانت الإشارة مرة أخرىٰ إلىٰ القرآن وإلىٰ مهمته التي ذكرت في أول السورة.

❁❁❁

الموضوع الواحد في السور المختلفة

القرآن الكريم كتاب أحكمت آيته من لدن حكيم عليم فهو لا ريب كتاب معجز، بديع لا عيب فيه، ولا نقص ولا تكرار، وقد يظهر للبعض وجود بعض التكرار لموضوع ما في مواقع مختلقة، ولكن في الحقيقة وبعد التدقيق والتدبر والوقوف علىٰ سياق الآيات في كل مناسبة ذُكر فيه ذلك الموضوع، يتبين لنا أن ايراده في كل موضع، يكون لمعنىٰ مختلفٍ عن غيره من المعاني في المواضع الأخرىٰ، فلا تكرار، وهذا باب عظيم من أبواب التدبر والوقوف علىٰ عظمة ودقة المعاني المقصودة في آيات الله وعظيم اعجازه وبيانه، وعلىٰ سبيل المثال قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام ذكرت في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن، وبالبحث والتدبر يتبين لنا أن في كل مرة تذكرة فيه قصة موسىٰ، يُذكرُ منها جانباً ومعناً مناسباً للسياق مختلفاً عن غيره في المواقع الأخرىٰ، وبكلمات مناسبة للسياق تختلف عن غيره.

فقد قال تعالىٰ في سورة طه:

﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [طه:٧٠].

وقال جَلَّ وعلىٰ في سورة الأعراف:

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف:١٢١-١٢٢].

ففي آية سورة طه قال السحرة (**آمنا برب هارون وموسىٰ**) وفي سورة الأعراف قال السحرة: (**آمنا برب العالمين رب موسىٰ وهارون**) فاختلف الترتيب لفظ اسم موسىٰ وهارون في قول السحرة وكذلك اختلاف الجملة قد يدل -والله أعلم-: (أن كلاهما قد قيل من قبل السحرة)، فجزء من

السحرة قال بما ورد في سورة طه، وقال جزء آخر من السحرة بما ورد في سورة الأعراف، وإما أنه قد تكررت اللفظة من السحرة مرة قالوا بهذه وأخرىٰ بهذه.

مباحث في التدبر
من يجوز له أن يتدبر القرآن

من يجوز له أن يتدبر القرآن؟ قد يخالفني البعض في صفات المتدبر وعلمه وفقهه، **فأقول**: الكلُّ يمكن له أن يتدبَّرَ، فعالم اللغة وعالم البيان وعالم النحو هؤلاء يقفون علىٰ دقيق المعاني والنكت البيانية البحتة، وعالم الفقه يقف علىٰ دقائق الأحكام الشرعية، وعالم الأصول يقف علىٰ دقائق القواعد والأصول، وعالم الفيزياء وعالم الكمياء، وعالم الصوتيات، وخبير السياسة، وخبير الحرب، وغيرهم من ذوي الاختصاصات الدقيقة، كلٌ يتدبر فيما يتقنه ويفهمه، وأهم من هذا كله، أي مسلم من عموم الناس مهما كان علمه له أن يتدبر، وكم من معنىٰ وقف عليه عامي فات علىٰ عالم لوهلة، ويروىٰ أن الأصمعي كان يقرأ آية قطع يد السارق فقال في ختام الآية (والله غفور رحيم)، والصحيح أنها (والله عزيز حكيم) فأنكر عليه أعرابي أن يكون هذا من كلام الله، مع أن الاعرابي لا يحفظ الآية، وقد عرفها بتدبره لكلام الله، وقال بعد أن صحح الآية: يا أصمعي عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

قال رشيد رضا رحمه الله:

لسنا نعني ببطلان التّقليد أنّ كلّ مسلمٍ يمكن أن يكون كمالكٍ والشّافعيّ في استنباط الأحكام الاجتماعيّة في أبواب الفقه كلّها فينبغي له ذلك، وإنّما نعني أنّه يجب علىٰ كلّ مسلمٍ أن يتدبّر القرآن، ويهتدي به بحسب طاقته، وأنّه لا يجوز لمسلمٍ قطّ أن يهجره ويعرض عنه، ولا أن يؤثّر علىٰ ما يفهمه من هدايته كلام أحدٍ من النّاس لا مجتهدين ولا مقلّدين، فإنّه لا حياة للمسلم في دينه إلّا بالقرآن، ولا يوجد كتابٌ لإمامٍ مجتهدٍ، ولا

لمصنّفٍ مقلّدٍ، يغني عن تدبّر كتاب الله في إشعار القلوب عظمة الله – تعالىٰ – وخشيته وحبّه والرّجاء في رحمته والخوف من عقابه، ولا في تهذيب الأخلاق وتزكية الأنفس وتنزيهها عن الشّرور والمفاسد، وتشويقها إلىٰ الخيرات والمصالح، ورفعها عن سفاسف الأمور إلىٰ معاليها، ولا في الاعتبار بآيات الله في الآفاق، وسننه في سير الاجتماع البشريّ وطبائع المخلوقات، ولا في غير ذلك من ضروب الهداية الّتي امتاز بها علىٰ سائر الكتب الإلهيّة، فكيف تغني عنه فيها المصنّفات البشريّة؟ !

أما – وسرّ القرآن – لو أنّ المسلمين استقاموا علىٰ تدبّر القرآن والاهتداء به في كلّ زمانٍ، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما ظلم واستبدّ حكّامهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالةً في معايشهم وأسبابها علىٰ سواهم.

هذا التّدبّر والتّذكّر الّذي نطالب به المسلمين آنًا بعد آنٍ – كما هي سنّة القرآن – لا يمنع أن يختصّ أولو الأمر منهم باستنباط الأحكام العامّة في السّياسة والقضاء والإدارة العامّة، وأن يتبعهم سائر الأمّة فيها [١]

قال القرطبي رحمه الله: ودلّت هذه الآية في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤]. علىٰ وجوب التّدبّر في القرآن ليعرف معناه. فكان في هذا ردٌّ علىٰ فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلّا ما ثبت عن النّبيّ صلّىٰ اللّه عليه وسلّم، ومنع أن يتأوّل علىٰ ما يسوّغه لسان العرب. وفيه دليلٌ علىٰ الأمر بالنّظر والاستدلال وإبطال التّقليد، وفيه دليلٌ علىٰ إثبات القياس [٢].

وقال أيضـًا رحمه الله:

(١) تفسير المنار (٢٤١/ ٥).

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢٩٠/ ٥).

قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر:٢١]. حثّ علىٰ تأمّل مواعظ القرآن وبيّن أنّه لا عذر في ترك التّدبّر، فإنّه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها علىٰ صلابتها ورزانتها خاشعةً متصدّعةً، أي متشقّقةً من خشية اللّه [١].

قال الشوكاني رحمه الله:

ودلّت هذه الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [الحشر:٢١]. علىٰ وجوب التّدبّر للقرآن ليعرف معناه[٢].

لكن مع الحذر من الوقوع في الأمور المنهي عنها من التفسير بالرأي وليّ أعناق النصوص، والتأويل الفاسد الذي لا وجه له من وجوه العربية، وغيرها من محاذير التفسير.

أقول: ومن المعلوم في مباحث الاجتهاد لدىٰ الفقهاء أن الاجتهاد فرض عين علىٰ كل مسلم فقد قال الشوكاني: قال القرافي: مذهب مالكٍ، وجمهور العلماء: وجوب الاجتهاد، وإبطال التقليد، وادعىٰ ابن حزمٍ الإجماع علىٰ النهي عن التقليد[٣].

وأن التقليد بمثابة رخصة لمن لا يستطيع الاجتهاد، والتدبر نوع من أنواع الاجتهاد.

❁❁❁

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٤٤/ ١٨).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٥٦٧/ ١).
(٣) إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول (٢٤٣/ ٢).

نصائح عامة هامة

قبل الدخول في خطوات الطريقة المقترحة لابد من التنويه علىٰ بعض الأمور الهامة للعبد والمعينة له علىٰ التدبر علىٰ سبيل الاختصار والذكر فقط:

- ابتعد عن الذنوب والمعاصي.
- أكثر من الاستغفار، ومن ذكر الله جَلَّ وعلىٰ، أكثر من فعل الخيرات وتقرب إلىٰ الله بفعل النوافل وغيرها من الطاعات.
- ازهد في الدنيا واعلم أن نعيمها قليل زائل ونعيم الآخرة كثير باق.
- تعلم اللغة العربية والبلاغة والأساليب اللغوية والنحو، فهي باب عظيم من أبواب الوقوف علىٰ عظمة معاني القرآن وسعته، قراءة بعض كتب الأدب العربي.
- تعلم شيئًا من أصول التفسير وأصول الفقه.
- تعلم العلم الشرعي قدر استطاعتك فهو أشرف العلوم وأنفعها للعبد في الدنيا والآخرة.
- تعلم شيئًا من القراءات المختلفة، والأحرف السبعة، وخصائص الرسم العثماني.
- عند التدبر في القرآن تدبر من المصحف وإن كنت تحفظ السورة أو الآية، فإن تظافر حاستان من حواس الإدراك أنفع وأقوىٰ، فالفؤاد مسؤول عن النظر والبحث والاستنباط واستدعاء المعاني، والعين للرؤية وللتذكير.

- لا يُمنع أن تتدبَّرَ ذهنيـًا إذا كنت خاليـًا علىٰ أي حال كنت.

صوارف تدبر القرآن

الذنوب والمعاصي.

الانشغال في الدنيا والإعراض عن الآخرة.

العُجبُ بالنفس والغفلة عن الاستعانة والتوسل بالله عز وجَلَّ واللجوء إليه، وحسن التوكل علىٰ الله.

الاتكال علىٰ الأسباب والثقة فيها أو عدم إعمال الأسباب، والصحيح إعمال الأسباب وحسن التوكل والتعلق بالله جل وعلىٰ.

كل متدبر له حظه من التدبر حسب علمه وتحقيقه لأدوات وشروط وأركان التدبر.

طريقة مقترحة للتدبر
اخلاص النية والتعبد لله

إنَّ التدبرَ عبادة لله جَلَّ وعلىٰ، مطلوبة لذاتها، ولِما لها من الأثر العظيم علىٰ تعظيم الله والخوف منه، والاخبات وجميع الأعمال القلبية الأخرىٰ وعلىٰ الإيمان عامة، وعليه فيجب توّفر فيها شروط قبول العمل وهي الإخلاص والمتابعة، فقد قال لله جَلَّ وعلىٰ في سورة الفاتحة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وفي هذه الآية العظيمة من السورة العظيمة قد تقدم المعمول علىٰ العامل وهو (إياك) وهذا في علم اللغة يفيد الحصر، أي حصر العبادة لله وحده لا شريك له فقد روىٰ البخاري -رحمه الله- في صحيحه **عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوىٰ...)** [١].

وروىٰ مسلم -رحمه الله- في صحيحه **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (قال الله تبارك وتعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك. من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)** [٢].

والإخلاص عزيز إلا علىٰ من يسره الله عليه، فالنفس البشرية تتفلت وتتسرب وتخلط بواعثها وتشوبها بين الفنية والأخرىٰ، وسبيل التغلب علىٰ ذلك باتباع أمر ربنا جَلَّ وعلىٰ، فقد قال الله تعالىٰ معلماً إيانا المحاسبة

(١) صحيح البخاري ت البغا (٣/ ١).
(٢) صحيح مسلم (٢٨٩/ ٤).

التي تفضي إلىٰ الإخلاص: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر:١٨].

وبقليل من التدبر في هذه الآيات يتلخص لنا سبيل مُعِينٌ علىٰ الإخلاص يمكن كتابته في خطوات:

١- هذه الآيات وردت في سورة الحشر، فهي تذكّر يوم القيامة أول طريق الإخلاص.

٢- هذا نداء للذين آمنوا فإذا أردت أن تكون من الذين آمنوا فارخِ سمعك وصفِّ قلبك وتهيئ لاستقبال الأمر واستعد لتطبيقه بالقبول والرضىٰ صادقًا موقنًا أن الخير كله في امتثاله وهو السبيل إلىٰ رضوان الله.

٣- اتق الله، والتقوىٰ في اللغة باختصار (دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ) وبلغة بسيطة التقوىٰ في الشرع: دفع غضب الله عن نفسك باتباع أمر الله للحصول علىٰ مرضاة الله.

٤- أنظر للعمل الذي تقوم به هل ينفعك يوم القيامة أم لا؟ ولا يكون ذلك إلا بتركِ ما نهىٰ الله عنه، وفعلِ ما أمر الله به، ولا يكون ذلك إلا بالوقوف مع النفس والمحاسبة والتدقيق معها، ماذا أردت تقولين، ماذا أردت تفعلين، ما هو باعثك علىٰ هذا، ضع كل شيء في ميزان الآخرة.

٥- اتق الله مرة أخرىٰ، لماذا؟ خلق الله النفس البشرية وهو أعلم بها، فكثير من الناس بعد المحاسبة -إلا من رحم الله- تجد له نفسه مسوغًا وتبريراً وتأويلاً لصحة وسلامة ما عمله، وما قاله، وأنه من رضوان الله جَلَّ وعلىٰ، وأنه علىٰ حق، فهنا يأتي أمر الله جَلَّ وعلىٰ للمؤمن الصادق بأن يتق الله مرة أخرىٰ في المحاسبة، ويتأكّد

أن مقصود المحاسبة الوقوف علىٰ ما ينفع في الآخرة وينجي من عذاب الله، بفعل أمر الله بطريقة صحيحة صادقًا من قلبه، وليس بأن يخدع نفسه ويطمئنها.

٦- لن يَخفىٰ علىٰ الله منك ومن نفسك شيء، فلا تكذب علىٰ نفسك ولا تكذب علىٰ الله الخبير بما تعمل، فالله مطلع عالم بكل ما تعمل.

فإذا عُلمَ هذا، فإن التدبر إذا لم يكن خالصًا لوجه تعالىٰ، فلا فائدة منه ولن تُجنىٰ ثماره من التقوىٰ وغيرها من الأعمال القلبية، حتىٰ أن التدبر هو فتحٌ من الله للعبد وإلهامٌ له ودلالةٌ له، فكلما اشتد اخلاص العبد لله كلما فتح الله له من أبواب فضله وعلمه ما لا يفتح لغيره من العباد.

الاستعانة بالله

قال الله تعالىٰ في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

اعلم رحمك الله أن باب الاستعانة من أعظم أبواب الخير والعبادة، الاستعانة بالله جَلَّ وعلىٰ هي طلب العون من الله وهي عبادة منفصلة عن غيرها، سواء كان طلب الاستعانة في أمر من أمور الدينا المباحة، أو أمر من أمور العبادة، وعليه فإن العبد الذي يستعين بالله فهو يؤدي عبادة لله جَلَّ وعلىٰ أولاً، ثم انظر أنت تطلب العون من رب السماوات والأرض وخالق كل شيء الذي لا يخرج شيء عن أمره، فأي عون وأي نفع سوف تحصل عليه ثانيًا، وهذا من أعظم أبواب الخير كما ذكرت لك، فاحرص علىٰ أن تكون الاستعانة عبادة لك في كل أمر تؤديه، نسأل الله أن يعيننا علىٰ وشكره وذكره وحسن عبادته.

فلا تنسىٰ في كل مرة تتدبر آية أو تتأمل في القرآن أن تستعن بالله وأن تبرأ إليه من الحول والقوة فتقول: اللهم إني أبرئ إليك من حولي وقوتي إلىٰ حولك وقوتك.

ومن أبواب الاستعانة بالله اتباع شرعه، واتباع الحق الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من السنة القولية والفعلية وغيرها من أنواع السنة، واستعمال الطرق المشروعة في التدبر، وقد ذكر القرآن كثيراً من طرق التدبر، كالقياس والبحث المنطقي، وحث علىٰ التفكر، والمقارنة، وقد أجرىٰ كثيراً من المقارنات التي تبين لنا كيف نتدبر وكيف نقف علىٰ

المعاني الدقيقة في مواضع التدبر، ومن أبواب الاستعانة الصحيحة في التدبر إعمال اللغة العربية وقواعدها الصحيحة المتفق عليها والبدائع اللغوية المشار إليها في كتب البلاغة.

الدعاء

التدبر عبادة والاستعانة عبادة والدعاء عبادة، فاستعن بالله علىٰ التدبر وادعُ الله يفتح لك ويفيض عليك من واسع علمه وأسأل الله أن يفقّهك في الدين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرًا، يفقه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ، ويعطي الله عز وجلّ)[1].

فالعلم الشرعي من أشرف العلوم وأنفعها للعبد في الدينا والآخرة، وأنعِّم بالدعاء إذا كان لطلب للتدبر في كتاب الله وآيته سائلاً الله جَلَّ وعلىٰ حسن التدبر والفهم المُورِث لزيادة الايمان والاخبات والخضوع لله جَلَّ وعلىٰ، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

❁❁❁

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٢١/ ١٢).

تعليق القلب بالله

فطر الله جَلَّ وعلىٰ الانسان علىٰ وجود عمل قلبي مصاحب ومقارن لعمل الجوارح وذلك عند قيامه بأي عمل من أعمال الجوارح، وحتىٰ أعمال القلوب لها أعمال أخرىٰ سابقة ومصاحبة لها كذلك، علىٰ سبيل المثال من يصلي الفريضة منهم من يصليها عادةً بقلب لاه غير حاضر، متثاقل يريد الانتهاء منها، ومنهم يصليها بقلب مقبل مستريح بها، شاكراً لله علىٰ أن يسَّر له الصلاة، وجعله من مقيمي الصلاة مستشعراً تقصيره وضعفه بين يدي خالقه المنعم المفضل عليه بعظيم فضله المستوجب شكره، وغيرها من الأعمال المباحة كذلك كطلب الرزق، والنوم، والأكل وغيرها، فقد ذكر ابن حبان في صحيحه **عن معاذ بن جبل رضي الله أنه قال: أقرأ وأنام ثم أقوم فأتقوىٰ بنومتي علىٰ قومتي، ثم أحتسب نومتي بما أحتسب به قومتي** [(١)].

وقال تعالىٰ:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢].

ومن أخطر ما يقع للناس في الأعمال القلبية، وما يضيّع عليهم كثيراً من الأجر والثواب، ويزيد عليهم وطأة الأعمال، هو تعلق قلوبهم بغير الله سبحانه وتعالىٰ حين أداء أعمالهم وتدبير شؤون حياتهم، ولو تعلقت قلوبهم بالله خالق كل شيء رب العالمين الذي لا يخرج عن حكمه شيء، لكانت جميع أعمالهم عبادة، وجميع ما يصيبهم خلالها يهون في نفوسهم

(١) صحيح ابن حبان التقاسيم والأنواع (٢٦٥/ ٥).

مأجورين عليه مثابين، ومن تعلقَ قلبُه بالله فلن يرىٰ إلا ما أراد الله جَلَّ وعلىٰ له أن يراه، ولن يعمل إلا ما أحب الله له أن يعمله.

فعند تدبرك في كتاب الله لا تتعلق بذكائك أو عظيم فهمك أو كثرة علمك، بل ضع نفسك ذليلاً كسيراً أمام الله سائلاً له الفتح لك والإلهام والتيسير والفهم.

التجرد للحق

لقد بدأنا التدبر امتثالاً لأمر الله مخلصين له جَلَّ وعلىٰ، قاصدين به الأجر والمثوبة من عند الله، وخلال التدبر قد يقع في نفس المتدبر فكرة ما أو معنىٰ ما، ثم يبدأ يبحث في القرآن والتفاسير علىٰ ما يؤيد هذه الفكرة وهذا المعنىٰ، يريد أن ينتصر لرأيه، وقد يتجاوز البعض فيؤوّل ويلوي أعناق النصوص، أو يذهب بعيداً جداً بالمعنىٰ لموافقة الفكرة أو المعنىٰ الذي وقع في نفسه، وكثير منا يعرف هذا، وذلك معروف في مجال البحوث والاستقصاء، فمن النادر أن يتجرد بحث أو استقصاء عن فكرة الباحث ونَفَسِهِ ورَأيه، وتسمىٰ هذه الخاصية (الحيادية) في البحث.

وقد يبدأ العبد عملاً مخلصاً لله جَلَّ وعلىٰ ثم تدخل عليه نفسه بالهوىٰ من هنا وهناك إلىٰ أن يبتعد عن الحق ويرىٰ غيره.

فإذا عُلِمَ هذا وجب علىٰ العبد المسلم أن يتجرد للحق فقط دون إلحاد أو محاباة أثناء التدبر في آيات الله، وألّا يُقوِّل النص القرآني ما لم يقله الله جَلَّ وعلىٰ ولم يرده، ويقف عند الحق ويَتهمَ فهمَه ونفسَه، ويعود ويبحث مراتٍ ومراتٍ إلىٰ أن يقف علىٰ المعنىٰ المراد الصحيح من قوله تعالىٰ.

وعليه فإذا وقَرَ في نفسك معنىً، فلا تُسلِّم به حتىٰ تعرضه علىٰ أقوال أهل العلم من المفسرين وعلماء الأصول وعلماء اللغة، ثم انظر هل ورد ما يخالفه فإذا وجدت ما يخالفه فاتهم نفسك وارجع **وابحث** عن المعنىٰ الصحيح، فإذا لم تجد ما يخالف المعنىٰ الذي وقفت عليها **فابحث** من أشار إليه أو تضمنه بمعنىٰ عام أو غيره من الإشارات المناسبة الصحيحة، ليكون داعما لقولك ولفهمك.

❁❁❁

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

قال الله جَلَّ وعلىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق:٣٧].

في هذا المبحث سوف نتكلم عن الشرط الأول من شروط الاستفادة أي (الذكرىٰ) كما وردت في الآية والشرط الثاني سوف يُعتنىٰ به خلال المباحث القادمة بإذنه تعالىٰ.

فنقول بحوله تعالىٰ إنَّ من مباحث أصول الفقه ما يسمىٰ بالإضمار وهو السكوت عن بعض النص لغرض ما، وقد يقصد به تعميم المعنىٰ المسكوت عنه وغيرها من المقاصد.

فإذا عُلمَ هذا فقد خلق الله جميع الخلق ولهم قلوب، فلا شك في ذلك، وقد أسندَ الله الفهم والعلم والفقه وغيرها في أكثر من آية إلىٰ القلب وإذا بحثنا عن معنىٰ العموم المسكوت عنه من صفات القلب فكأننا نقول: إن في ذلك لذكرىٰ من كان له قلب (حي سليم يفقه ويعلم ويدرك قلب نظيف طاهر أبيض) وما إلىٰ ذلك من الصفات الجَلَّيلة التي يمكن للقلب أن يتّصف بها، والتي تكسب القلب حياته ووجوده.

وقد ألف كثير من أهل العلم كتب جَلَّيلة في سلامة القلوب وتطهيرها من الدنس فليُرجع إليها.

ونحن هنا نؤكد علىٰ أهمية سلامة القلب وصحته وأهليته للقيام بعبادة التدبر، فالله الله علىٰ صفاء قلوبكم وتنقيتها من كل غل وحقد وحسد.

❁❁❁

حفظ القرآن كاملا

حفظ القرآن كاملاً أو علىٰ الأقل حفظ السورة المراد التدبر فيها أو الآية المراد التدبر فيها، إن أهمية ذلك تكمن في أن الحفظ يعين ويسهل علىٰ العقل التدبر والبحث في ألفاظ الآيات والربط والتحليل ودوران العقل والنظر في الألفاظ، إذ أن التدبر عملية عقلية تختلف من شخص لآخر، حتىٰ الشخص الواحد تختلف طريقته في النظر في المعاني والتدبر في الألفاظ من حين لآخر، هذا بالإضافة إلىٰ فتح الله للعبد بعد النظر والبحث، وحفظ الآيات يمكّن الانسان من التحقق من المعاني التي وقف عليها، بإرجاعها إلىٰ الآيات الأخرىٰ المختلفة، فالقرآن كله محكم يردّ بعضه إلىٰ بعض ويفسّر المتشابه بالمحكم.

قراءة التفاسير

قبل التدبر في أي سورة يجب قراءة تفسير السورة من عدة تفاسير كتفسير ابن جرير الطبري أو ابن كثير وتفسير الشوكاني وتفسير السعدي – رحمهم الله جميعا– وغيرهم من علماء التفسير.

قد يقول قائل لماذا عدة تفاسير، قال ابن تيمية رحمه الله في اختلاف الصحابة في بعض التفاسير أنه (اختلاف تنوع) فقد يذكر مفسر فرداً هو من بعض أنواع العام ويذكر مفسر آخر فرداً آخر من بعض أنواع العام كذلك، فكلاهما صحيح وكلاهما مقصود بالقرآن، وغيرها من أنواع الاختلاف المعتبرة وغير المتضادة، والتي لها مسوغ مقبول، فعلىٰ سبيل المثال في التدبر في سورة التغابن وقفتُ علىٰ أركان الايمان وتفصيلا لها في أول السورة إلىٰ نصفها، فبحثت ذلك في التفاسير علىٰ من يؤيد ذلك إلىٰ أن وجدت أن ابن سعدي –رحمه الله– ذكر مثل هذا في تفسيره، ومثل هذا كثير.

ومن جانب آخر قد يفتح الله لمفسرٍ ويذكر معنىً أو تفسيراً لم يذكره غيره من المفسرين، وللمفسرين طرائق مختلفة حسب علومهم الشرعية فعلىٰ سبيل المثال الحافظ ابن كثير عالم من علماء الحديث فهو يفسر القرآن مكثراً من الأحاديث النبوية ومن الأثار، ابن جرير الطبري له اهتمامات بالتاريخ فهو يذكر ويفسر القرآن بالأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين وبهذا يكون أغلب المفسرين عالةً عليه، وهو أصل التفسير بالمأثور، والقرطبي رحمه يفسر القرآن ويذكر كثيراً من المسائل الفقهية، والشوكاني رحمه الله يذكر التفسير بالمأثور ثم يذكر بعض التفسير بالرأي

المقبول الموافق للشرع واللغة، ومن المعاصرين شيخنا أ. د. سعد بن ناصر الشثري له تفسير ماتع يجمع فيه الفقه وأصول الفقه مع العلوم الأخرى.

أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة تناول ذكرها طائفة من العلماء المحققين أوجزها في الآتي:

الفائدة الأولىٰ: أن معرفة سبب النزول يعين علىٰ فهم الآية.

قال الواحدي عن أسباب النزول: إذ هي أوفىٰ ما يجب الوقوف عليها، وأولىٰ ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف علىٰ قصتها وبيان نزولها[١].

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النُّزول طريق قوي في فهم معاني القرآن[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعرفة سبب النزول يعين علىٰ فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ولهذا كان أصح قولي الفقهاء أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف رُجع إلىٰ سبب يمينه، وما هيجها وأثارها[٣].

الفائدة الثانية: أن العلم بسبب النزول يرفع الإشكال، ويحسم النزاع قال الشاطبي: إن الجهل بأسباب التنزيل مُوقعٌ في الشُّبه والإشكالات، ومُورِدٌ للنصوص الظاهرة مُورَد الإجمال حتىٰ يقع الاختلاف[٤].

(١) أسباب النزول ت الحميدان (٨).
(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق (٢٥٩/ ٢).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٣٩/ ١٣).
(٤) انْظُر الموافقات (١٤٦/ ٤).

هذه أهم هذه الفوائد وهناك أخرىٰ ليس هذا محل ذكرها فليُرجع في ذلك إلىٰ الكتب المتخصصة في هذا العلم من علوم القرآن.

قراءة الآثار الواردة بعد نزول الآيات

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين) جعل النّبيّ صلّىٰ اللّه عليه وسلّم ينادي: (يا بني فهرٍ، يا بني عديٍّ) لبطون قريش[١].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت (يدنين عليهن من جلّابيبهن) خرجن نساء الأنصار كأن علىٰ رؤوسهن الغربان من الأكسية[٢].

ومثل هذا كثير جداً في كتب السنة، فالصحابة هم أهل الفصاحة واللسان وهم أول من تلقّىٰ القرآن وطبقوه في زمن النبوة، وفي حضرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، والوحي لا يزال يتنزل علىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام، فَهُمْ أصّح من طبق وفهم القرآن، ولو أخطأ بعضهم في فهم القرآن لتنزل عليهم القرآن مرة أخرىٰ ليصحح أخطائهم، فعليك أخي الحبيب بقراءة الأثار الواردة بعد نزول الآيات ففيها علم كثير وفهم كبير للقرآن.

❁❁❁

(١) صحيح البخاري ت البغا (١٢٩٨/ ٣).

(٢) جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٣٩٨/ ٢)

تنبيه وتحذير

بعد التأكيد علىٰ قراءة التفاسير المعتبرة بأنواعها والوقوف علىٰ أسباب نزول الآية إن وجد، وجب ألا تخرج المعاني والهدايات التي تقف عليها بعد التدبر عن أقوال السلف في التفاسير وألا تعارض أقوالهم، بل يجب أن تكون شارحة مفصلة، مؤكدة لها.

كن صبورا كن شكورا

كن صبوراً كن شكوراً فقد قال تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورىٰ:٣٣].

لقد تكرر قوله تعالىٰ: ﴿...إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [١] أربع مرات في القرآن، وذلك تأكيداً علىٰ أن من أراد أن يعتبر بالآيات ويقف عليها ويستفيد منها في الاستدلال علىٰ عظمة الخالق، لابد وأن يكون صباراً شكوراً، فعلق الاعتبار بالآيات بوجود هاتان الصفتان لدىٰ الباحث عن الحق، وقد وردت بصيغة المبالغة، فصبّار علىٰ وزن (فعال) وصيغ المبالغة تُورد لبيان مدىٰ استغراق الفاعل في الفعل، والمقصود هنا فعل (الصبر) فكأننا نقول أن الفاعل من كثرة صبره حتىٰ أصبح الصبر صفة لصيقة به، وكذلك (شكور) علىٰ وزون (فعول) صيغة مبالغة تفيد أن الفاعل من كثرة شكره أصبح الشكر صفة لصيقة به.

يتبقىٰ علينا معرفة لماذا هاتين الصفتين بالذات هذا مازلت **ابحث** عنه.

وقد يكون سبب ذلك -والله أعلم- نحن نرىٰ العلماء المكتشفين للعلوم الطبيعية يصلون إلىٰ مكتشفاتهم بالتجارب الكثيرة المتكررة والتي قد تصل إلىٰ ألاف التجارب، وهذا لا يكون إلا مع الصبر فلا يستطيع فعل ذلك من لا صبر له، ونحن نرىٰ اسلام كثيرٍ من علماء العلوم الدنيوية كل يوم، والمتدبر في آيات الله جَلَّ وعلىٰ الكونية وآيات كتابه قد يقضي أياماً في البحث والتفكر فالصبر سنده وعدته وعتاده في ذلك.

(١) الشورىٰ (٣٣) لقمان (٣١) إبراهيم (٥) سبأ (١٩).

وأما الشكر الذي هو (الثناء علىٰ الإنسان بمعروفٍ يوليكه) فمن اتصف بهذا الخُلقِ عَرفَ أن لكل شيء مسبب أوجد هذا الشيء، ووقع في قلبه المنة لمن أوجده وأنه لا يكون شيء إلا بفاعل له وموجد له، فيتّبع ذلك ويتدرَّج فيه حتىٰ يصل إلىٰ خالق السماوات والأرض ومُنشأها من العدم، وأن كل شي من الله، وكل شيء قائم بالله، ثم يقع فيه قلبه ما شاء الله من الذكرىٰ والموعظة والعبادات القلبية والمنة والشكر والفضل والامتنان لله عز وجَلَّ.

الهداية على درجات

قال الله تعالىٰ:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ.....١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال جَلَّ من قائل في بداية سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة:٢-٣].

وقد علق الله جَلَّ وعلىٰ الهداية بصفات كثيرة ذكرت في القرآن مما يتبين لك أن الهداية علىٰ مراتب، وعلىٰ قدر إيمان العبد تكون له الهداية، فكلما اشتد طلب العبد للهداية، وتحرىٰ لها التقوىٰ والصلاح والبعد عن المعاصي، كلما تحصّلت له وأنعَمَ الله عليه بها، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩].

كل ما سبق تحضيراً للشروع في عملية التدبر المحضة والتجهيز له وفيما يلي أسباب معينة وتوجيهات وإشارات لدقائق التدبر قد يفتح الله بها لعباده ما يشاء من علمه.

❁❁❁

التدبر في سورة

- **ابحث** عن المعنىٰ التحليلي لاسم السورة كما ذكرنا سابقًا.
- قم بتطبيق الوحدة الموضوعية في عناصر موضوع السورة كما ذكرنا سابقًا وهي أن تبحث عن الرابط بين اسم السورة ومطلعها وخاتمتها ومواضيعها....إلخ.
- **ابحث** عن مناسبة السورة قيد التدبر بالسورة التي قبلها والتي بعدها.
- **ابحث** عن المواضيع الجامعة لمجموعة سور علىٰ سبيل المثال السور في الجزء الأخير في الأغلب تناقش مواضيع العقيدة كتوحيد الربوبية والألوهية والبعث.

مثال آخر السور (مريم – طه – الأنبياء – الحج). تبدأ سورة مريم عليها السلام ببيان رحمة الله وقدرته العظمية المطلقة في الكون ثم في سورة طه وبما أنه الخالق المدبر الرب الرحيم فإنه شرع للناس تكاليف إذا قاموا بها سهلت حياتهم وهذا ما تقرره سورة طه في قوله تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه:١-٣].

وقال أيضًا: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه:١٢٤].

ثم تأتي سورة الأنبياء لتقرر أن هذه هي مهمة الرسل وهي إيصال رحمة الله لعباده وهدايتهم، ثم تأتي سورة الحج لتبين أن الخلق كلهم ومآلهم إلىٰ الله فهم يسيرون إليه قاصدين الآخرة شاءوا ذلك أم أبوا، وهكذا.

- **ابحث** عن المعاني التي تربط بين الأشياء المقسم عليها في السور التي يكون فيها قسم من الله عزّ وجَلَّ بعدة أشياء، كسورة الفجر والبلد والتين وغيرها من السور، فهو باب عظيم للتدبر.

التدبر في آية
البحث عن اللطائف

قد يكون أكثر التدبر هو في الآيات منفردة ثم بعد ذلك يكون الربط والتعميم بين الآيات المختلفة والوقوف علىٰ موضوع السور، والتدبر في الآيات فيه لطائف كثيرة يجب النظر فيها والتدبر من خلالها فعلىٰ سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- إطلاق الفكر فيما يدخل في أفراد العموم وما لا يدخل.
- ابحث عن التكليف في كل آية.
- لا يوجد حرف زائد في كتاب الله.
- التدبر في أركان الفعل.
- البحث في حروف المعاني.
- تصور كل فعل بصفات فاعله.
- ابحث في الآيات المتكررة.
- ابحث في اللازمة المتكررة.
- للآخرة نواميس خارقة تختلف عن الدنيا.
- البحث عن الأجور العظيمة بأعمال قليلة.
- البحث عن الاعجاز العلمي.
- البحث في الصفات المختلفة المذكورة لشيء ما.
- المقارنة بين الأشياء المتقابلة وصفاتها.
- لا تعارض في كتاب الله أو السنة المطهرة.
- اختلاف الألفاظ اليسيرة بين الآيات المتشابهة.
- الزيادة في المبنىٰ زيادة في المعنىٰ.

- اختلاف الترتيب مع التكرار.
- التقديم والتأخير.
- معجزات الله والبشر.
- التفكر في معاني أدوات النداء والاشارة والاستفهام وغيرها.
- إرشادات سريعة.
- صوارف تدبر القرآن.

وفي الصفحات التالية نتكلم عن هذه اللطائف والمناسبات مع الأمثلة

ما يدخل في أفراد العموم وما لا يدخل

باب عظيم من أبواب التدبر مبنيٌ علىٰ أصل من أصول اللغة العربية وأكثر المهتمون به علماء أصول الفقه، وينبهون عليه كثيراً فهو بابٌ عظيم من أبواب الشرع، وهو إعمال العموم في النصوص وعدم تخصيصه إلا بمخصص معتبر عند علماء الأصول، وقد يغفل البعض عن إدخال أفراد العموم ضمن الحكم المذكور في النص القرآني فيفوته بذلك كثيراً من أحكام الشريعة وتوجيهاتها وعلىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ:

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطفِّفين:١-٣].

المطففين لفظ من ألفاظ العموم يدخل تحته كثير من الأفراد.

قال الشيخ محمد ابن عثيمين -رحمه الله- في تفسير هذه الآية كلمة ويل كلمة وعيد يتوعد بها الناس والمطففون: بيَّنهم الله عز وجَلَّ في قوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطفِّفين:١-٣].

وعليه من تفسير القرآن بالقرآن، المطففون هم الذين (إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون) يعني اشتروا منهم ما يكال استوفوا منهم الحق كاملاً بدون نقص (وإذا كالوهم أو وزنوهم) يعني إذا كالوا لهم أي هم الذين باعوا الطعام كيلاً، فإنهم إذا كالوا للناس أو باعوا عليهم شيئًا وزنًا إذا وزنوا نقصوا (يخسرون) فهؤلاء يستوفون حقهم كاملاً، وينقصون حق غيرهم، فجمعوا بين الأمرين، بين الشح والبخل، الشح :في طلب حقهم كاملاً بدون مراعاة أو مسامحة، والبخل :بمنع ما يجب عليهم من إتمام الكيل

والوزن، وهذا المثال الذي ذكره الله عز وجل في الكيل والوزن هو مثال، فيقاس عليه كل ما شبهه، فكل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة[١].

أقول: إن استماعك أو انصاتك لأي شخص قد يكون فيه تطفيف، سوء ظنك بشخص فيه تطفيف، تعاملك مع شخص علىٰ خلفية معينة مثلا أنه من مكان معين أو فئة معينة من الناس فيه حكم علىٰ الناس، وفيه كيل ووزن وفيه تطفيف، وما أكثر ما يقع الناس في ذلك التطفيف، انطلاقـًا أن هذا الشخص من مكان كذا فهو كذا، دون اعتبار لحقوق الشخص ذاته مجرداً عن الخلفيات الأخرىٰ، وقس علىٰ ذلك.

أنظر إلىٰ المعاني العظيمة التي قد تدخل تحت عموم هذا الحكم بعموم معنىٰ هذه الألفاظ، وبإعمال العقل والتدبر فيما يدخل وما لا يدخل، وهذا يورث المسلم الحذر والتيقن والسلامة في التعامل مع الناس ثم اجتناب الوعيد الوارد في السورة، كل ذلك بالتدبر في معاني العموم.

❁❁❁

(١) فضيلة الشيخ محمد ابن عثيمين تفسير جزء عم (٩٣).

ابحث عن التكليف في كل آية

من مقصود الله جلَّ وعلىٰ في إنزال الكتب السماوية هي بيان الأحكام التكليفية، ما هو مباح ما هو محرم وما هو واجب عليهم فعله فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل:٤٣-٤٤].

وعليه فالتدبر والنظر والتوقف عند كل آية والبحث عن التكليف فيها، هو من أهم مقاصد الشرع وأنفعها للعبد، وبه يحصل العبد علىٰ الأجور العظيمة باتباعه شرع الله وهديه، وقد يظن البعض أن بعض الآيات لا تخصه، أو ليس له فيها تكليف له، ولكن بالبحث يتبين له خلاف ذلك، فعلىٰ سبيل المثال قال الله تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطفِّفين:١-٣].

كثير من الناس يظن أنه غير مخاطب بهذه الآية، فهو ليس بائعًا، ولو أنه تدبر معنىٰ الكيل والوزن وأطلق فيه العموم، لعلم أنه في كل لحظة تعامل مع الناس يكيلُ ويزن، فمن تحادثه كلامًا فقط، فيه الكيل والوزن، وذلك أن تلقيك لكلامه وتقبلك له وإقبالك عليه، وسماعك له، هو وزن وكيل من جهة السمع، فأنت تحب أن ينصت لك جميع الناس ويقبلون عليك إذا تكلمت، فهذا استيفاء لحقك، وكذلك، إذا تكلم أحدهم أعطه حقه من الانصات والاقبال والسمع فهذا تمام كيله ووزنه، وكما تحب أن يحسن الناس الظن بك فأحسن الظن بهم، تماما لكيلهم ووزنهم فقد تعالىٰ في معرض هذا لما ظن بعض الصحابة السوء في أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور:١٢].

وانظر إلىٰ امتثال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للآية السابقة وكيف تظن خيراً بالصحابي فعن عائشة رضي الله عنها قالت :خرجتُ أنا وأُمُّ مسطحٍ الأنصارية رضي الله عنها لحاجةٍ لنا فعثرت فقالت: تعس مسطحٌ .فقُلتُ :بئس ما قُلت لرجُلٍ صحب رسُول الله صلىٰ اللهُ عليه وسلم[1].

قس علىٰ ما سبق مما يدخله التطفيف وما لا يدخله، وأرسل لمخيلتك العنان في هذه الآية، حتىٰ لا يطالك الوعيد.

مثال آخر: قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران:١٠٣].

قد يظن البعض أن المخاطب بهذه الآية هم الصحابة رضوان الله عليهم فقط، وأنه لا منَّةَ لله علينا نحن المسلمون الآن بهذا، لكن انظر في عواقب الأمور وتدبر، واعلم أنَّ من حمل لواء الدين ونشر التوحيد وبلّغ الدين الإسلامي، والسنة المطهرة، وحفظ القرآن الكريم وتلقاه، هم الصحابة رضوان الله عليهم، ولولا منّة الله ونعمته عليهم، لما وصلنا الدين، فهذه منّة ونعمة أنعم الله علينا بها كذلك، فشكرُ الله جلَّ وعلىٰ علىٰ هذه النعمة وعلىٰ هذه المنّة واجب علينا وتكليف لنا، وكذلك كل الحب وكل العرفان وسلامة الصدر لجميع الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – سورة النور (٧٣/ ١٥).

مثال آخر فقد قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١ ﴾ [الأحزاب:٩-١١].

كما في الآيات السابقة منّةَ الله علينا وفضله، كذلك الاعتراف بفضل الصحابة علىٰ كل مسلم بعدهم إلىٰ يوم يبعثون، انظر إلىٰ هذه المواقف العظيمة المرعبة كما وصفها جلَّ وعلىٰ وكيف صبر الصحابة علىٰ ذلك وصمدوا حتىٰ حملوا لنا نور الإسلام، فكل الحب لهم وكل العرفان.

والأمثلة كثيرة علىٰ هذا:

فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢ ﴾ [الحاقة:١١-١٢].

الخطاب لكل البشر وذلك أن نوح عليه الصلاة والسلام هو أبو البشر الثاني، والمنَّة علينا جميعا مستوجبة الشكر والعرفان.

❁❁❁

لا يوجد حرف زائد في كتاب الله

لا يوجد حرف زائد في كتاب الله جَلَّ وعلىٰ، وإن جاز حذف الحرف واستقام الكلام بعد حذفه، إلا أن وجود هذا الحرف في الكلام مرادٌ لله جَلَّ وعلىٰ مقصود له، فيه معنىٰ مقصود فان لم تعرف مقصود الله جَلَّ وعلىٰ، فاتّهم نفسك و**ابحث** عن مراد الله في زيادة هذا الحرف فقد قال تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾ [الحج:٦٤].

انظر اللام في (لهو) فلو تم حذفها لايزال الكلام مستقيما، ولكن هذه اللام تسمىٰ (لام الابتداء) وهي مستحقة لصدر الكلام، ولكن قد تُأخّر بعد إِنَّ المكسورة، وقد بُدأ الكلام بـ (إِنَّ) لقوتها، لكونها عاملة، كذا قال الأخفش، وفائدة هذه اللام توكيد مضمون الجملة، وكذلك إِنَّ، وإنما اجتمعا، لقصد المبالغة في التوكيد، وقال أهل علم المعاني: إذا أُلقيت الجملة إلىٰ من هو خالي الذهن استغني عن مؤكدات الحكم. فيقال: زيد ذاهب. ويسمىٰ هذا النوع من الخبر ابتدائيًا. وإذا أُلقيت إلىٰ طالب لها، متردد في الحكم، حسن تقوية الحكم بمؤكد، وذلك بإدخال إِنَّ، نحو: إِنَّ زيداً ذاهب. أو اللام، نحو: لزيد ذاهب. ويسمىٰ هذا النوع طلبيًا، وإذا أُلقيت إلىٰ منكر للحكم وجب توكيدها، بحسب الإنكار. فتقول: إني صادق، لمن ينكر صدقك، ولا يبالغ فيه، وإني لصادق لمن يبالغ في إنكاره. ويسمىٰ هذا النوع إنكاريًا. وعليه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾ [يس:١٣]. إلىٰ أن قال: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾ [يس:١٦].

وفي نهاية سورة الحج تكررت هذه اللام في أكثر من آية مما يشير إلىٰ صدر السورة ويربطنا بها وبموضوعها وهو الحج، والحج لغة هو القصد فلا يسير إنسان بدون قصد وإن لم يعِ قصده، لكن قصده موجود ولو بحث عنه في قرارة نفسه لوجده، أضف إلىٰ ما ورد من آيات ذكرت جدال وتشكيك المعاندين في بداية السورة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ [الحج:٣].

وقال أيضـًا:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ [الحج:٨].

وسورة الحج تؤكد علىٰ أهمية القصد والتوجه إلىٰ الله في كل عمل وفي كل قول، وهو مدار الأمر كله في هذه الدنيا، فصوارف الدنيا والنفس والشيطان تختال الإنسان يمنة ويسرة بعيداً عن مراد الله تعالىٰ، ولن ينجو العبد إلا بالقصد والتوجه لله في كل عمل وفي كل قول وفي كل نية، والحق واليقين أن الله يرث الأرض ومن عليها، فأنت لا محالة متوجه إلىٰ الله قادم إليه، فاجعل قلبك مقبل غير مدبر، ليس فيه شيء سوىٰ الله حين تلقىٰ الله.

فإذا عُلمَ هذا يتبين لنا أهمية أساليب التأكيد التي وردت في نهاية السورة لتنفي وتردُّ وتقطع الشك باليقين جدال المعاندين وجهلهم.

انظر إلىٰ هذه الزيادة في المعنىٰ التي ولا بد وأن يشعر بها الإنسان العربي العادي غير المتبحر في علوم البيان، وقد لا يستطيع تسميتها وتبريرها، ولكن بقليل من البحث يمكن الوقوف علىٰ دقيق هذه المعاني وعظيم فائدتها فهي ليست حرفا زائداً، ولنا خريطة ذهنية أو (مخطط توضيحي) وهو عبارة عن ملخص كتاب (الجنىٰ الداني لحروف المعاني) ففيه نفع عظيم في هذا الباب متوفر في موقعنا علىٰ الشبكة العنكبوتية.

(https://insightmeans.com/).

التدبر في أركان الفعل

لقد خلق الله الكون وجعل له سنن لا يخرج عنها ولا يحيد، ومن بديع سنن الله في كونه أن الفعل الذي يقع من أي فاعل له أركان وقواعد لا يتم الفعل إلا بها، فعلىٰ سبيل المثال للفعل زمن بداية ونهاية ومدة، وفاعل ومفعول به ومحل للفعل، وصفة للفعل، وقوته وشدته وكميته...إلخ[١].

لنطبق ذلك علىٰ كلمة من كلمات القرآن لنرىٰ عظمة الله في كلامه ودقة معناه فقد قال تعالىٰ:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾

[الأعراف:٨].

لنأخذ كلمة (الوزن) فهي مصدر (وَزَنَ) والمقصود هو ميزان الحسنات والسيئات فقد وصف الله الوزن بأنه الحق، وبهذا الأسلوب صفة الحق تنطبق علىٰ جميع أركان الفعل، فهي تشمل عملية الوزن لحظة وضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فلا ظلم ولا خداع، وتشمل أيضاً، القائمين علىٰ الوزن وهم الملائكة، فهم لا يعصون الله فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وتشمل أيضاً الحق وعدم الظلم في وحدات الوزن، فلن يظلم الانسان مقدار ذرة من حسنة، فلن تضيع عليه حسنة كلها مجموعة مكتوبة قد أحصاها الله في كتاب، ولن يُضاف إلىٰ سيئاته مقدار ذرة لم يرتكبها، وعملية الوزن تشمل أيضاً صحة الميزان وعدله وعدم اختلال تَقَابُلِه، وتشمل أيضاً وجود رحمة الله في مضاعفة الحسنات عشرة أضعاف مقابل السيئات واحدة بواحدة فقط، وتشمل أيضاً عدل الله ووزنه لأعمال القلوب والتي بها تطيش الصحف، كما في حديث صاحب البطاقة، فكل

(١) لنا مخطط توضيحي لمتطلبات الفعل نضعه قريبا علىٰ موقعنا بحوله تعالىٰ.

عمل له وزنه الخاص في الميزان، كذلك الوزن الحق يشمل الأسباب والمسببات فكل عمل خير كنت سببًا فيه أو لك فيه طرف، فلك أجره ومحسوب في ميزان حسناتك، ويشمل هذا الوزن الحق أيضًا العمل بالنية، فكم من عمل نويت أن تعمله ولم تستطع أن تعمله، والله خبير عليم بذات الصدور يعلم صدق عبده فيكتب له عمله وإن نواه قلبه فقط دون أن تقوم به جوارحه.

فانظر كيف جمعت هذه الكلمتان معان عظيمة وقفنا عليها بالتدبر والنظر في أركان الفعل فظهر لنا بعض ما تشمله هذه الكلمة من عظمة ومن إعجاز، وقد تقف أنت علىٰ معان أخرىٰ تشملها هذه الكلمتان والله يفتح لمن يشاء بما يشاء.

البحث في حروف المعاني

تُقسَم الحروف في اللغة العربية إلىٰ ١- حروف مباني وهي الحروف التي تتكون منها أي كلمة نحو: (زيد) فالحروف (ز ي د) هنا تسمىٰ حروف مباني ولا معنىٰ لها منفردة، ٢- حروف المعاني وهي حروف ليست أفعالا وليست أسماء تربط الكلام ببعضه نحو (في – عن – إلىٰ...) وغيرها من الحروف فلنأخذ مثالا قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ [ص:٦].

(أن امشوا) يقل لها (أن) المفسرة، وهي التي يحسن في موضعها (أي)، وعلامتها أن تقع بعد جملة، فيها معنىٰ القول، دون حروفه، وعليه نفهم من هذه الحرف أن الملأ الذي كفروا انطلقوا قائلين لأصحابهم (امشوا واصبروا علىٰ آلهتكم) فبين حالهم حين قولهم، فيكون الوصف للحال وللمقال.

مثال آخر قوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١﴾ [الشمس:١١].

الباء في كلمة (بطغواها) هي للتعليل: قال ابن مالك: هي التي تصلح غالبًا في موضعها اللام[١].

فيصير المعنىٰ ولأن ثمود هم قوم طغاة ظلمة لا يقفون عند الحق فقد كذَّبوا نبي الله صالح عليه السلام، فتكذيبهم لنبيهم أحد أسبابه هو أن ما اتصفت به وما تملكه هذه القبيلة أو هؤلاء القوم من صفة ظاهرة هي الطغيان، وقد ينضم إليها معنىٰ آخر وهي الباء السببية ويكون من المعاني أن بسبب طغيان ثمود وظلمهم كذبوا برسولهم.

(١) الجنىٰ الداني في حروف المعاني (٣٩).

مثال آخر قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزُّمَر:٣٧].

قوله (بعزيز) الباء تفيد الإلصاق وذلك لتأكيد صفة ومعنىٰ العزة لله جَلَّ وعلىٰ في سياق الكلام ضمن أسلوب إقراري.

مثال آخر: قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ [الرحمن:١-٨].

أنظر إلىٰ الحرف (ألا) حرف تحضيض بمعنىٰ (الأولىٰ أن تفعلوا) فقد قال الطوسي: (نهي كأنه قال أي لا تطغوا، لأن (أن) تكون بمعنىٰ أي ويجوز أن تكون علة، وتقديره: ووضع الميزان لأن لا تطغوا، وإنما أعاد ذكر الميزان من غير إضمار لئلا يكون الثاني مضمنا بالأول، وليكون قائما بنفسه في النهي عنه إذا قيل ألا تطغوا في الميزان)[1] وعليه يكون تقدير الكلام ولنجعله جواب للسؤال التالي ليكون أوضح: لماذا لا يجب علينا الطغيان في الميزان؟

فيكون الجواب عائدا علىٰ جميع الآيات السابقة كما يلي:

١- لأن الله الرحمن ربنا، وإلهنا، وسيدنا، ومولانا.

٢- لأن الرحمن خلقنا وعلمنا القرآن وعلمنا البيان.

٣- لأن الشمس والقمر مسيرة بأمره تعالىٰ بدقة تقاس عليها الأزمان وتحسب.

٤- كل من في الكون مؤتمر بأمر الله جل وعلىٰ وهو يسجد لله طوعا وكرها.

٥- رفع الله السماء ووضع في الكون ميزان لا يحيد عنه شيء قيد ذرة.

(١) التبيان في تفسير القرآن للطوسي تفسير الآية (٨) من سورة الرحمن.

٦- أنت الوحيد أيها الانسان من لديه الاختيار ضمن مشيئة الرحمن المطلقة فيجب عليك ألا تخرج عن نظام هذا الكون العظيم المحكم المنضبط، ولا عذر لك فكل شيء منضبط تستطيع أن تسايره وتسخره.

أضف إلىٰ ذلك تعميم كلمة (الميزان) فهي تشمل كل عمل وكل قول للجوارح أو القلوب.

انظر كيف وقفنا علىٰ معان عظيمة بتدبر أحد حروف المعاني، وأستطيع الجذم بأن كل من يفهم العربية قد يشعر بهذا المعنىٰ ويستقر في قلبه، ولكن قد لا يستطيع التعبير عنه، وبالبحث يظهر لنا ويتضح.

وقد صنف أهل الأصول وأهل اللغة والبيان كتبًا في هذا الباب لشرح المعاني التي تستخدمها العرب من خلال حروف المعاني ومن أفضل الكتب في هذا الباب (الجنىٰ الداني في حروف المعاني) وغيرها من الكتب فليرجع إليها ففي ذلك نفع عظيم، ولنا خريطة ذهنية لشرح هذا الكتاب في الشبكة العنكبوتية فليرجع إليه[١].

❁❁❁

(١) (insightmeans.com).

تصور كل فعل بصفات فاعله

من سُنن الله في كونه أن جعل الأشياء تختلف في أقدارها وأحجامها، وجعل المخلوقات تختلف فيما بينها في الصفة الواحدة، كل حسب حاجته، فوهب الجمل صبراً علىٰ العطش والجوع للعيش في الصحراء ما ليس لغيره من الأنعام، وخص كل حيوان وزاده بما ليس لدىٰ غيره من الحيوانات، وحتىٰ أن البشر تختلف في صفاتها فمنهم القوي ومنهم الضعيف ومنهم الكريم ومنهم البخيل وغيرها من تفاوت الصفات بين البشر، ولله جَلَّ وعلىٰ صفات قد تتفق في الاسم أو أصل الصفة مع المخلوق ولكن لله صفة جَلَّال وعظمة وكمال وللمخلوق صفة ضعف تناسب حاله فقد قال تعالىٰ: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١].

فالمخلوق يسمع والله يسمع وشتان بين سمع المخلوق وسمعه تعالىٰ فقد روىٰ أحمد في مسنده: فعن عائشة، قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - وأنا في ناحية البيت، تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة:١] (١).

فإذا عُلم هذا فأرسل بصرك وتفكيرك في كل فعل من أفعال الله ثم أعلن العجز والاقرار بعظيم صفات الله وكمالها التي لا يحيط بها مخلوق علماً.

(١) مسند أحمد (٢٢٨/ ٤٠) رواه البخاري (١١٧/ ٩).

انقل ذلك إلىٰ ما أعدّه الله لعباده الصالحين من أجر وفضل في الدينا والآخرة فقد قال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس:٥٧]..

(ما يدّعون) أي ما يخطر علىٰ بالهم ويستجد وتطلبه نفوسهم من نعيم ومن فضل عظيم، وفي المقابل تخيل وتصور عظمة عذاب الله للكفار المعاندين فقد قال تعالىٰ:﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة:٣٢]..

أي أدخلوها في جسد الكافر ويقال إنها تدخل من فيه وتخرج من دبره ثم يقلب في النار، وغيرها من آيات العذاب الشديد ولمَّا يقال عذاب شديد فشدته ليست كشدة عذاب الخلق، ولله المثل الأعلىٰ، وهذا باب عظيم من أبواب التدبر، به ترق القلوب وتخبت إلىٰ الله عز وجَلَّ.

ابحث في الآيات المتكررة

القرآن كلام الله جَلَّ وعلىٰ وصفته، فهو معجز لا نهاية لمعانيه ومقاصده، ولن يستطيع مخلوق الإحاطة بجميع معاني القرآن، ولا بدقيق مراميه، فتكرار الآيات معجز مبهر لمن تدبره ووقف علىٰ مراد الله في ذلك التكرار فقد قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف:٦٧-٦٨]

وقال أيضاً: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف:٧٢].

وقال أيضاً: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الكهف:٧٥].

هذه ثلاث آيات تكررت في سورة الكهف مع اختلاف طفيف في كل منها، وبالتدبر في هذه الآيات الثلاث وفي مواضعها وسياقها منَّ الله علينا بفضله وكرمه ببعض مما فيها من العلم والاعجاز كما يلي:

في الآيتين (٦٧-٦٨) يمكن لنا أن نستخلص قاعدة تربوية مهمة جداً، وهي أن المتربي أو العبد يمكن له أن يصبر ويقوم بكل تكليف أمر به، إذا كان لديه احاطة بالتكليف ومراحله وأهدافه وما يقصد به، بخلاف ما لو أُمر العبد بتكليف ليس لديه به علم، فقد يكون صعبا عليه، ولن يستطيع الصبر علىٰ أدائه.

وفيها تحذير من هذا المعلم الرباني لطالب العلم - عليهم السلام جميعا- وإعلام بهذه القاعدة وأهميتها.

اشتراط المعلم علىٰ طالب العلم الشروط المُعِينة علىٰ أداء التكاليف علىٰ الوجه الأكمل الذي يحبه الله ويرضاه.

بيان من المعلم صعوبة هذا التكليف وأنه لن يطيقه بشر مع عظيم قدرة موسىٰ عليه الصلاة والسلام علىٰ الصبر وعلىٰ القيام بأمر الله جَلَّ وعلىٰ فهو من أولىٰ العزم من الرسل، وقد أرسله الله جَلَّىٰ وعلىٰ إلىٰ أمة من أشد الأمم عناداً وكفراً فصبر عليهم، وقد بين نبينا عليه الصلاة والسلام شيئًا من صبر موسىٰ عليه السلام علىٰ قومه ومعالجته لهم في كثير من الأحاديث، إلا أن هذا المعلم يبين لموسىٰ عليه السلام أنه لن يستطيع الصبر علىٰ هذا التكليف بهذا الشرط.

في الآية (٧٢) تعريض وتحذير لطيف من المربي والداعية الرباني الخبير في التعامل مع النفس البشرية، ومع طلاب العلم، وتذكير بالقاعدة التي اشترطها سابقًا، وفيها كذلك أسلوب لغوي وهي عدم توجيه الخطاب المباشر لطالب العلم حتىٰ لا يكون في نفس طالب العلم ردة فعل أو استجابة عكسية، قد تعيق مسيرة طالب العلم من التحصيل ومتابعة معلمه ومربيه، أو إحداث هوة بين المعلم وطالب العلم.

في الآية (٧٥) تصعيد للخطاب وتوجيه خطاب مباشر لطالب العلم فقد أضاف كلمة (لك) لتحذيره الثاني من خرق الشرط المشروط بينهما وأهمية الالتزام به، وبيان من المعلم أن هذا التكليف وبهذه الطريقة لا يستطيعه أي بشر، وغير مقدور عليه بسهولة، وفيها أيضًا حرص المعلم علىٰ سلامة أداء طالب العلم للتكليف، وعدم الاخلال بالشروط المتفق عليها، وفيها استسلام طالب العلم وقبول نصيحة المعلم وعدم العناد والتحدي المضر المفضي إلىٰ معصية الله جَلَّ وعلىٰ فقد قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف:٧٦].

وفيها اعتراف طالب العلم بالحق وعدم المكابرة وفيها تقدير لمشاعر المعلم وحياء من طالب العلم فقد قام المعلم بكل ما لديه لإنجاح هذه

التكليف، وقد خضع طالب العلم للتجربة كاملة حتىٰ بلغ منتهاها، فلم يبق إلا التوقف لسلامة طالب العلم.

هذا بعض مما فتح الله لنا في هذه الآيات، أخي الحبيب أختي الكريمة **ابحث** وتدبر أنت فسوف تجد معان لم نقف عليها، وسوف يجد غيرك معان لم تقف عليها أنت، فالله يفتح لمن يشاء بما يشاء لا إله إلا هو العليم الحكيم.

ابحث في اللازمة المتكررة

لقد تكررت الآية ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات:١٥].

في سورة المرسلات في نسق بديع معجز، انتهت به السورة إلىٰ إقامة الحجة الباهرة المسكتة، وأنه لا كلام بعده يقال، بالإضافة إلىٰ أنه في كل موضع تَرِدُ هذه الآية تَخدِمُ معنىً عظيماً يختلف عن الموضع الآخر، ففي المرة الأولىٰ جاءت مفسرة جوابا للسؤال التعظيمي: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ [المرسلات:١٤].

مشعرة وكأنه يوم قد خصص فقط للويل والثبور للمكذبين، وتبعتها الآيات مبينة شارحة كيف يكون ذلك، مستخلصة الإقرار من جميع البشر فقد أهلك الله القوي العزيز الجبَّار المجرمين أولهم وآخرهم، فلا مهرب ولا منجىٰ لهم من عذاب الله ومن ملك الله جَلَّ وعلىٰ، فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي التكرار الثاني جاءت الآية بعد الجمل الإقرارية علىٰ قدرة الله جَلَّ وعز علىٰ خلق البشر، وقد كانت كفار قريش تقرُّ بالربوبية لله جَلَّ وعلىٰ في ذلك، وكأن الآية تقول بما أنكم تقرون بربوبية الله في خلقكم فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي الثالث بعد الجمل الإقرارية علىٰ قدرة الله جَلَّ وعلىٰ وخلقه للكون، والذي كانت كفار قريش تقرُّ به وأن الله هو خالق ومدبر هذا الكون، فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي الرابع بعد مشهد من مشاهد يوم القيامة والذي يصفُ بعضاً من هول جهنم بصورٍ مرعبةٍ مزلزلةٍ تَذلُ لها النفوس وتخضع واستمداداً للإقرارات السابقة بقدرة الله عز وجَلَّ ومُلكهِ المطلق للكون وليوم القيامة فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي الخامس بعد بيان عجزهم وهوانهم، وسيطرة الله وقدرته المطلقة علىٰ جوارحهم فتُلجم أفواهُهم فلا يستطيعون الكلام ولا يسمح لهم ببيان أعذارهم ولا عتبىٰ لهم، ولا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي السادس بعد تحدي معجز مزلزل، يقف الإنسان أمامه موقف الذل والضعف والاستسلام، فهو لا يستطيع أن يمنع الملائكة من قبض روحه ومن سوقه ومن عرضه علىٰ الله عزّ وجَلَّ، وكل الناس يرىٰ أن المحتضر لا يستطيع هو وكلُ من في الكون أن ينفعه بشيء أو أن يمنع نفسه من الموت، فيكف يستطيع أن يكايِّد لله عزّ وجَلَّ أو يعانده أو يدفع عن نفسه العذاب، بل استسلامٌ مطلق وعجزٌ وذلٌ وهوانٌ، فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي السابع بعد أن ذكر جزاء المتقين وقدرة الله عزّ وجَلَّ علىٰ مكافأتهم وعظيم جزائهم، كان التبكيت والتنكيل النفسي فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي الثامن معنىٰ إقراري بصغر متاع الدنيا وقلته وحقارته، وصيرورتهم إلىٰ يوم الدين مقارنة بما ينتظرهم من أهوال يوم القيامة، ولا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وفي التاسع علىٰ المَعْنَيين المذكورين في التفاسير وأولهما أنهم أمروا بالسجود في الدنيا فلم يقبلوا، والثاني أنه كذلك لن يستطيعوا السجود في الآخرة عندما يؤمروا بذلك، وليس لهم إلا الذل والهوان، فلا مناص لكم من التصديق بأن الله قادرا علىٰ المكذبين فيعذبهم فلهم الويل والثبور.

وتختم السورة بقوله تعالىٰ:﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات:٥٠].

كلمة تهتزُ لها القلوبُ المؤمنة وتقشعر لها الأبدان، أي حرمان هذا وأي قلب هذا، فيا قساوته ويا سواده، قلب لا يؤمن بعد سماع هذه الآيات ولا ترتعد فرائصه وآيات القرآن الأخرىٰ.

اعرض قلبك علىٰ مثل هذه الآيات فإن لم تبك ولم ترتجف كرر هذه الآيات تأمّل فيها تدبّر فيها، كررها مرة ومرة وأخرىٰ، إلىٰ أن تخرج دمعة مستعصية، إلىٰ أن يرقَّ قلبك ويخبت لله عز وجَلَّ ويقنت.

أخي الحبيب أختي الكريمة تدبَّر في عظيم هذه السورة وآياتها فنحن لم نذكر إلا إشارةٍ طفيفة لنبين كيف نتدبر في مثل هذه الآيات المتكررة، وغيرها من السور كسورة الشعراء، والرحمن، والقمر، وغيرها.

❁❁❁

للآخرة نواميس خارقة تختلف عن الدنيا

في تعّدٍ غاشمٍ و قلة علم وجهل نُريد قياسَ وإمرار قوانين الكون الفيزيائية التي نعلم قليلاً منها (كقوانين الجاذبية والحركة وغيرها من القوانين التي وضعها الله في السموات والأرض) أو غيرها من القوانين الدنيوية علىٰ الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، فهذا إجحاف وتقليل من عظمة الله عزّ وجَلَّ، فالله سبحانه وتعالىٰ أوجد الكون وخلق السماوات والأرض من عدم ولم تكن قبل شيئًا، ووضع لها نظامًا وقوانينًا وسننًا لا تحيد عنها، وقد ذكر الله لنا كثيراً من الوقائع التي خرق الله قوانين الكون بمعجزاتٍ لأنبيائه وعباده الصالحين عليهم الصلاة والسلام فلإبراهيم عليه السلام جعل النار برداً وسلامًا، ولداود أَلانَ له الحديد، ولسليمان ملكًا لا ينغي لأحدٍ من بعده، ولموسىٰ معجزات لا تعد ولا تحصىٰ، انشقاق البحر، وغلبة السحرة، والعصا، وتفجير عين الماء من الحجر، وغيرها كثير، وكذلك لنبينا عليه الصلاة والسلام فكم من مرة سقىٰ وأطعم عليه الصلاة والسلام الجيش من كمية قليلة من الماء والطعام، وكم مرة سلّم عليه الحجر والشجر، وكم من مرة تكلّم إليه الطير والحيوان، وشُق له القمر، وكم من مرة سُمع تسبيح الحصىٰ بين يديه، وغيرها كثير.

وكم حدثت من المعجزات للصحابة مثل رؤية عمر للجيش الذي علىٰ رأسه الصحابي الجَلَّيل (سارية) -رضي الله عن الجميع- فصرخ عمر علىٰ المنبر (يا سارية الجبل) وسمع سارية رضي الله عنه صوت عمر وهو بعيد عنه ألاف الأميال[١]، وغيرها كثير.

(١) إسناده جيد حسن - أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١/ ٣).

فإذا عُلم هذا فكيف لنا أن نقيس ونحاول تفسير أهوال يوم القيامة وحوادثها وصفة الجنة والنار علىٰ نواميس الكون كما هي الآن، والله عز وجَلَّ يخبرنا في آيات كثيرة وأحاديث نبوية كثيرة، أن كل قوانين هذا الكون سوف تتغير، وعليه فيجب الحذر ثم الحذر عند سماع آيات العذاب أو آيات الرحمة والنعيم ثم قياسها علىٰ حالنا في الدنيا، والصحيح أن نسّلمَ ونؤمنَ بها كما وردت، ولا نتكلم في كيفها إلا حسب ما ورد إلينا من الأخبار الصحيحة، فعلىٰ سبيل المثال ذكر الله أن الشمس سوف تكوّر يوم القيامة فما حقيقة التكوير وكيف يكون ذلك لا علم لأحد بذلك سوىٰ الله عز وجَلَّ، وعن خروج الشمس من المغرب ليس لنا أن نقول بأنه سوف يأتي نيزك يضرب الأرض بطريقة ما، فتدور بطريقة عكسية، وغيرها من التفسيرات والاسقاطات غير المنطقية أساسـًا.

البحث عن الأجور العظيمة بأعمال قليلة

لقد قال الله عزّ وجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١].

انظر إلىٰ عظيم الأجر المترتب علىٰ فعل بسيط بعد تقوىٰ الله عزّ وجَلَّ وهو القول (السديد) والسديد في اللغة:

قال ابن فارس: (سدد) السّين والدّال أصلٌ واحدٌ، وهو يدلّ علىٰ ردم شيءٍ وملاءمته. من ذلك سددت الثّلمة سدًّا، ومن ذلك السّديد، ذو السّداد، أي الاستقامة كأنّه لا ثلمة فيه [١].

قال ابن منظور: وأما السّداد، بالفتح، فإنما معناه الإصابة في المنطق أن يكون الرّجلّ مسدّداً. ويقال: إنه لذو سدادٍ في منطقه وتدبيره[٢].

وبلغة أخرىٰ راقب أقوالك، فلا تتكلم من القول إلا ما كان سديداً، أي: القول المناسب في الوقت المناسب في المكان المناسب بالطريقة المناسبة، وهذا يتطلب منك التريث قبل الكلام ومحاسبة النفس والغوص في أغوار النفس للبحث عن النية قبل الكلام، ثم اختيار الوقت المناسب، ثم اختيار الطريقة المناسبة، وهذا باب عظيم من أبواب تقوىٰ الله يبدأ بالشهادتين فهي أعظم الأقوال السديدة ويندرج إلىٰ أذكار وأقوال الصلاة والذكر المطلق وأي ذكر أو أي كلام تخاطب به الله عز وجَلَّ، أو أي من العباد، أو تخاطب به نفسك قولاً بلسانك أو بقلبك، ولنأخذ مثالاً للتقريب: قراءة

(١) مقاييس اللغة (٦٦/ ٣).
(٢) لسان العرب (٢٠٨/ ٣).

القرآن من أعظم القربات إلىٰ الله عزّ وجَلَّ وهي قولٌ سديدٌ إلا أن قراءة القرآن في الركوع أو السجود ليس قولاً سديداً لمخالفته أمر الرسول عليه الصلاة والسلام **فعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: ألا وإنّي نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا، أو ساجدًا، فأمّا الرّكوع فعظّموا فيه الرّبّ عزّ وجلّ، وأمّا السّجود فاجتهدوا في الدّعاء، فقمنٌ أن يستجاب لكم** [١].

أطلق لنفسك العنان وفكر وقس علىٰ ذلك وسدد وقارب في الأقوال حتىٰ تكون جميع أقوالك قولاً سديداً.

لنعد إلىٰ الأجر العظيم الذي أعده الله عزّ وجَلَّ لمن امتثل لأمره.

يصلح لكم أعمالكم: ضد الصالح الفاسد والفاسد في الشرع غير المقبول، أي أن الله سبحانه وتعالىٰ بعظمته وجَلَّاله وعظيم صفاته يجعل أعمالنا صالحة مقبولة لديه، ولا يكون ذلك بإصلاح أعمالنا الفاسدة، وإنما يكون باتباع أمر الله عزّ وجَلَّ، لنجعل أقوالنا سديدة ولمّا نسدد أقوالنا نتبع أمر الله في النيات، وفي القصد تصلح أعمالنا ويقبلها عزّ وجَلَّ.

يغفر لكم ذنوبكم: من كرم الله عزّ وجَلَّ وعدله أن العبد إذا كان قاصداً رضوان الله دائمًا ثم زل وضعف وأخطأ، فإن الله يغفر خطأه وذنبه، وقد يبدل الله له سيئاته حسنات بمشيئته وكرمه وجوده.

فاز فوزاً عظيما: الفوز ضد الخسارة وهذا الفوز العظيم في مقياس رب السماوات والأرض ليس فوزٌ يمكن مضاهاته ولا يمكن تخيله، أطلق لنفسك الفكر في عظمة هذا الفوز فأي درجة تصلها ففوز الله أعظم منه.

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩).

هذه الأجور العظيمة والعطايا الجسيمة والتوفيق والنجاح في الدينا والآخرة تأتي بتطبيق أمر الله عزّ وجَلَّ في أمور قد تبدو بسيطة، ولكنها عظيمة في النتيجة والمآل وفي المحصلة، فالله الله أخواني الأعزاء بالوقوف علىٰ أقوالكم وتحقيق السداد فيها لنحصل علىٰ الأجر العظيم الذي كتبه عزّ وجَلَّ.

ابحث عن مثل هذه الآيات العظيمة وتدبر ما فيها من الأعمال اليسيرة التي يترتب عليها أجور وفائد عظيمة فهي كثير في القرآن العظيم.

البحث عن الاعجاز العلمي

ابحث عن الاعجاز العلمي حسب تخصصك، ولكن احذر كل الحذر من إِعمال النظريات غير المثبتة، واحرص علىٰ مقابلة الحقائق العلمية فقط مع الآيات ثم استخرج دلالة الآيات علىٰ الحقيقة بشكل صحيح معتبر، وليس بتأويل بعيد غير مقبول، فإن ذلك لا فائدة منه، والضرر منه أكثر وفيه إساءة لكتاب الله عزّ وجَلَّ.

علىٰ سبيل المثال قال تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

بحر لجي:(لَجَّ) اللام والجيم أصلٌ صحيحٌ يدل علىٰ تردد الشيء بعضه علىٰ بعضٍ، وترديد الشيء. من ذلك اللجاج، يقال لج يلج، وقد لججت علىٰ فعلت لججًا ولجاجًا. ومن الباب لج البحر.

لقد وجد العلم الحديث أن البحر ظلمات متدرجة حسب ألوان الطيف تختفي الألوان لونـًا لونـًا آخرها الأزرق.

❁❁❁

البحث في الصفات المختلفة المذكورة لشيء ما

علىٰ سبيل المثال: الجنة وما أعد الله لعباده المتقين من عظيم أجر وثواب، والنار وما أعده الله عزّ وجَلَّ للكفار المعاندين من عذاب ونكال جزاء كفرهم وتكذيبهم، الصفات المختلفة التي ذكرت للعجَلَّ الذي قدمه أبينا إبراهيم للملائكة، صفات العذاب الذي أهلك فيه الله عزّ وجَلَّ الأمم السابقة، وغيرها كثير من الأمثلة، مثال ورد ذكر الحياة والموت بصور كثيرة في مواضع كثيرة في القرآن فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك:٢].

وفي تقديم خلق الموت علىٰ الحياة نكتة ونعمة ومنة من الله أنه خلقنا وكنا أمواتا قبلها.

وقال أيضـًا:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال أيضـًا:﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم:١٩].

لقد عرَّف أهل العلوم الطبيعية الموت والحياة بتعاريف كثيرة ليس هذا محل لذكرها، ولكن نريد أن نستخلص التعريف الشرعي للموت والحياة وبعبارة مختصرة بلا اسهاب ولا تطويل:

تعريف الحياة: هي قيام المخلوق بمهمته التي خلق لها.

تعريف الموت: توقف المخلوق عن المهمة التي خلق لها.

فالله خلق الإنسان لمهمة واحدة وهي عبادة الله وحده جَلَّ وعلىٰ ويكون ذلك باتباع شرعه الذي أرسل به نبيه عليه الصلاة والسلام كتابًا وسنةً فإذا قام بهذا فهو حي، وإن لم يقم بذلك فهو ميت، وكم من آية اثبت هذا المعنىٰ فقد تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق:٣٧].

لا يوجد إنسان بدون قلب لكن لمَّا غابت عنه الصفة الحقيقة ومهمته الرئيسة وهي العقل، كان كعدمه، وكذلك أي مخلوق لا يقوم بمهمته فهو ميت.

وعلىٰ المعنىٰ السابق يمكن بسهولة تفسير الآية في سورة الروم فعلىٰ سبيل المثال تكون حبوب الزرع ميتة في المخازن، حية بالنسبة للأرض، وتكون الأرض ميتة بدون ماء ولا بذور، ثم يأتي الماء والبذر فتصبح الأرض حية، سوق النباتات والأوراق لما تكون جزء من النبات تكون حية، ثم تموت الأوراق فتسقط فالأوراق فهي ميتة بالنسبة للنبات ولما تقع علىٰ الأرض فهي حية بالنسبة للأرض لأنها تتحلل وتذوب في الأرض، وعلىٰ هذا المفهوم تدور العناصر والمركبات والمخلوقات في هذا الكون الفسيح من موت بالنسبة لمخلوقات ثم إلىٰ حياة بالنسبة لمخلوقات أخرىٰ ثم موت إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أنظر كيف غيَّرَ هذا المفهوم وهذا التعريف فهمنا للآيات وكيف وقفنا علىٰ بعض عظيم صنع الله في هذا الكون، وعن بعض صور التداخل بين المخلوقات والاستفادة من بعضها البعض.

الأمثلة كثيرة، فاحرص أخي المسلم وأختي المسلمة علىٰ حياة قلوبكم بالتقوىٰ واتباع شرع الله جَلَّ وعلىٰ، ثم بالتدبر والتفكر في آيات الله الكونية والشرعية.

المقارنة بين الأشياء المتقابلة وصفاتها

ومن عظمته القرآن ما يلحظه الباحث فيه النظر بين الأشياء المتقابلة أو المتماثلة، بلاغةً وحثًا للعقل علىٰ التدبر والمقارنة والمقابلة، لمّا تُذكر الجنة ونعيمها، فتُذكر النار وعذابها، يُذكر المؤمنون وصفاتهم، فيُذكر الكافرون وصفاتهم، وفي مواضع تعلو هذه المقابلة وتسمو وتحث العقل علىٰ التدبر بأسلوب بلاغي بديع يفهمه ويشعر بعظمته البلاغية كل عربي وإن لم يستطع تسميته أو وصفه، ويسميه البلاغيون (احتباك) علىٰ سبيل المثال قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران:١٣].

لدينا الآن فئتين متقابلتين تذكر صفة لفئة ومنها تستنبط الصفة المقابلة لها في الأخرىٰ ولنبين هذا الاحتباك في الجدول التالي:

الصفة	فئة المسلمين	فئة غير المسلمين
لواء القتال	سبيل الله: مذكورة	سبيل غير الله: مستنبطة
الايمان	مؤمنة: مستنبطة	كافرة: مذكورة
التأييد	مؤيدة من الله: شبه مذكورة	محاربة من الله: مستنبطة
العبرة	نصرة الله الدائمة للمؤمنين: شبه مذكورة	خذلان الله الدائم للكافرين: مستنبطة

مثال آخر قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص:٧٩-٨٠].

الصفة	الفئة الأولىٰ	الفئة الثانية
القصد	الحياة الدنيا: مذكورة	الآخرة: مستنبطة
العلم	ليس لديهم علم: مستنبطة	أوتوا العلم: مذكورة
بذل الأسباب	الحظ: مذكورة	الايمان والعمل: مذكورة

ومثل هذا كثير فأطلق العنان لبحثك وتفكيرك في مثل هذه الآيات.

❁❁❁

لا تعارض في كتاب الله أو السنة المطهرة

قال الله تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود:١].

والإحكام هنا بمعنىٰ تمام الصنعة وعدم الاختلاف وعدم التناقض، وقد تحدّىٰ الله العرب والإنس والجن بذلك، ولا يزال المبطلون وأعداء الإسلام يبحثون عن تعارض وخلل، لكن هيهات هيهات وأنَّىٰ ذلك، وكم من قصة رواها ممن أسلموا وهم يبحثون عن أخطاء في القرآن أو ممن كُلفوا بذلك البحث، والتاريخ يزخر بقصصهم ولا نزال نسمع أخبار أمثالهم علىٰ مدىٰ يومي.

والتدبر في هذا الباب له نفع عظيم جداً، وقد اشتغل علماء الفقه والأصول والحديث فيه ووضعوا له القواعد وألفوا فيه الكتب في القديم والحديث، ولعلنا نأخذ مثالا لنبين به المقصود فقد قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ .....٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].

مع قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم:٤].

قال ابن عاشور رحمه الله في ذلك: وقوله: (فبهداهم اقتده) تفريعٌ علىٰ كمال ذلك الهدىٰ، وتخلّصٌ إلىٰ ذكر حظّ محمدّ صلّىٰ الله عليه وسلّم من هدىٰ اللّه بعد أن قدّم قبله مسهب ذكر الأنبياء وهديهم إشارةً إلىٰ علوّ منزلة محمّدٍ صلّىٰ الله عليه وسلّم وأنّها منزلة جديدة بالتّخصيص بالذّكر حيث لم يذكر مع الأنبياء المتقدّمين، وأنّه جمع هدىٰ الأوّلين، وأُكملت له الفضائل، وجُمع له ما تفرّق من الخصائص والمزايا العظيمة. وفي إفراده بالذّكر وترك عدّه مع الأوّلين رمزٌ بديعٌ إلىٰ فذاذته وتفرّد مقداره، ورعيٌ

بديعٌ لحال مجيء رسالته بعد مرور تلك العصور المتباعدة أو المتجاورة، ولذلك قدّم المجرور وهو فبهداهم علىٰ عامله، للاهتمام بذلك الهدىٰ لأنّه هو منزلتك الجامعة للفضائل والمزايا، فلا يليق به الاقتداء بهدًىٰ هو دون هداهم.

وأمرُ النّبيء صلّىٰ الله عليه وسلّم بالاقتداء بهداهم يؤذن بأنّ اللّه زوىٰ إليه كلّ فضيلةً من فضائلهم الّتي اختصّ كلّ واحدٍ بها سواءٌ ما اتّفق منه واتّحد، أو اختلف وافترق، فإنّما يقتدىٰ بما أطلعه اللّه عليه من فضائل الرّسل وسيرهم، وهو الخلق الموصوف بالعظيم في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤].

أنظر كيف عَظُمَ المعنىٰ وعظُمت صفات الرسول عليه الصلاة والسلام باجتماع معاني الآيتين، وتبين لنا كيف أن رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الرسل كيف جُمعت فيه جميع صفات الرسل العظيمة التي أثنىٰ عليهم الله عزّ وجَلَّ بها، واتصف بها عليه الصلاة والسلام، فهو أحسن الخلق فاستحق ثناء الله عزّ وجَلَّ ووصف خلقه بالعظيم.

ولعلي أرشدك أخي الحبيب إلىٰ مثال آخر لتبحث فيه، فقد ذكر الله عزّ وجَلَّ حال الكفار في الآخرة ومرة يذكر أنهم لا يتكلمون ومرة يذكر أنهم لا يؤذن لهم بالكلام ومرة أخرىٰ يفقدون النطق، وغيرها من أحوالهم في العذاب عِياذاً بالله من ذلك، فكيف يكون الجميع بين هذه الأخبار.

اختلاف الألفاظ اليسيرة بين الآيات المتشابهة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة:٦١].

وقال أيضاً: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران:١١٢].

وقال أيضاً: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران:١٨١].

وقال أيضاً: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء:١٥٥].

أُنظر إلىٰ الجملة التي تحتها خط في الآيات السابقة، ففي آية سورة البقرة (النبيين بغير الحق) وجميع الآيات الأخرىٰ (الأنبياء) والحق بدون أل التعريف وبعد تدبر وبحث يظهر لنا ما يلي:

(بغير الحق): الباء سببية ولفظة (غير الحق) الحق اسم جنس فهي من ألفاظ العموم منفي بغير، أي أنَّ سبَبَ قتلِهم الأنبياء، أيُ شيء آخر سوىٰ الحق والذي متقرر معروف لديهم، وذلك تشنيعا وإنكارا عليهم لكثرة

الأسباب غير السوية التي كانت تدفعهم لقتل النبيين عليهم الصلاة والسلام.

وقد قرر الأولون أن الجمع السالم يقرب المعنىٰ من الفعلية وهو الحدث ويبعده عن الاسم وجمع التكسير يقرب المعنىٰ للاسم.

(النبيين) جمع مذكر سالم أي أن المراد التركيز علىٰ أفعال النبيين في عهد بني إسرائيل والتي لم تخرج عما أمرهم الله عزّ وجَلَّ من أفعال النبوة، وكيف قابلهم بنو إسرائيل بالقتل بما قاموا به من أعمال النبوة، ولما كان سياق الآيات في سورة البقرة هو التشنيع علىٰ أعمال بني إسرائيل وبيان تعنتهم وبيان حالهم وكيف قابلوا نعم الله العظيمة بالكفر والتعنت، وعليه تم استخدام الجمع علىٰ صيغة المذكر السالم، وأما سياق السور في باقي الآيات كان من باب ذكر أفعالهم التي استحقوا بها العقوبة فكان تعداد لقتلهم الأنبياء بأشخاصهم.

مثال آخر قال تعالىٰ:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٣٥].

وقال أيضاً:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٥٨].

انظر إلىٰ الكلمات التي تحتها خط في الآيات السابقة ففي قصة أبينا آدم عليه السلام نستفيد من تقديم كلمة (رغداً) قبل إرادة أبوينا عليهم السلام أن الجنة كلها رغدا وليس الرغد متعلق بمشيئتهما.

وأما في الآية مع قصة بني إسرائيل فالرغد متعلق بمشيئتهم فليس كل الأرض رغدا وإنما حيث تقع مشيئتهم للعيش ييسر الله لهم الرغد.

ومثل هذا كثير في الآيات فلتطلق العنان للفكر وللفهم في دقائق وعجائب هذا الكتاب العظيم.

الزيادة في المبنى زيادة في المعنى

قاعدة عند أهل العربية والبيان وهي أن زيادة حروف الكلمة تعني زيادة المعنىٰ عن الكلمة الناقصة في الحروف لنطبق هذا في بعض الآيات فقد قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ [الكهف:٦٧].

وقال أيضًا: ﴿.... ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف:٨٢].

وقال أيضًا: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف:٩٧].

في بداية الحوار بين العبد الصالح وبين نبي الله موسىٰ أخبر العبد الصالح نبيه الله موسىٰ عن عدم استطاعته تحمل المسير معه بكلمة (تستطيع) وفي نهاية الرحلة وبعد الشرح أخبره بكلمة (تسطع) بحذف التاء والياء لسهولة تحمل الأمر بعد بيان السبب.

وأما في قصة يأجوج مأجوج فقد بينت الآيات أن مؤنة تجاوز الردم أسهل من نقبه وذلك بحذف حرف التاء.

ومثل هذا كثير في القرآن.

❁❁❁

اختلاف الترتيب مع التكرار

قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة:١٢٩].

وقال أيضاً: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة:١٥١].

وقال أيضاً: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران:١٦٤].

وقال أيضاً: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة:٢].

قال الطاهر ابن عاشور: (وقدّمت جملة: ويزكّيكم علىٰ جملة: ويعلّمكم الكتاب والحكمة هنا عكس ما في الآية السّابقة في حكاية قول إبراهيم: يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم البقرة: ١٢٩، لأنّ المقام هنا للامتنان علىٰ المسلمين فقدّم فيها ما يفيد معنىٰ المنفعة الحاصلة من تلاوة الآيات عليهم وهي منفعة تزكية نفوسهم اهتمامًا بها وبعثًا لها بالحرص علىٰ تحصيل وسائلها وتعجيلًا للبشارة بها. فأمّا في دعوة إبراهيم فقد رتّبت الجمل علىٰ حسب ترتيب حصول ما تضمّنته في الخارج، مع ما في ذلك التّخالف من التّفنّن[1].

(١) التحرير والتنوير (٥٠/ ٢).

مثال آخر قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة:٤٨].

وقال أيضًا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة:١٢٣].

قال الطاهر ابن عاشور: وقد أعيدت هذه الآية بالألفاظ التي ذكرت بها هنا لك للتنبيه علىٰ نكتة التكرير للتذكير ولم يخالف بين الآيتين إلا من الترتيب بين العدل والشفاعة فهنالك قدم ولا يقبل منها شفاعةٌ [البقرة: ٤٨] وأخر ولا يؤخذ منها عدلٌ [البقرة: ٤٨] وهنا قدم ولا يقبل منها عدلٌ وأخر لفظ الشفاعة مسندًا إليه تنفعها وهو تفننٌ، والتفنن في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع حصول المقصود من التكرير. وقد حصل مع التفنن نكتةٌ لطيفةٌ إذ جاءت الشفاعة في الآية السابقة مسندًا إليها المقبولية فقدمت علىٰ العدل بسبب نفي قبولها ونفي قبول الشفاعة لا يقتضي نفي أخذ الفداء فعطف نفي أخذ الفداء للاحتراس، وأما في هذه الآية فقدم الفداء لأنه أسند إليه المقبولية ونفي قبول الفداء لا يقتضي نفي نفع الشفاعة فعطف نفي نفع الشفاعة علىٰ نفي قبول الفداء للاحتراس أيضًا.

والحاصل أن الذي نفي عنه أن يكون مقبولًا قد جعل في الآيتين أولًا وذكر الآخر بعده. وأما نفي القبول مرةً عن الشفاعة ومرةً عن العدل فلأن أحوال الأقوام في طلب الفكاك عن الجناة تختلف، فمرةً يقدمون الفداء فإذا لم يقبل قدموا الشفعاء، ومرةً يقدمون الشفعاء فإذا لم تقبل شفاعتهم عرضوا الفداء [١].

❁❁❁

(١) كتاب التحرير والتنوير (٦٩٨).

التقديم والتأخير

ترتيب الكلمات تتحكم به قواعد اللغة وقواعد النحو، ومن عظمة اللغة العربية وجود أساليب لغوية يتم بها مخالفة الترتيب المعهود لإفادة ذلك معان إضافية مقصودة، وبَحثُ هذا في كتب المعاني والبيان ومثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة:١٢٤].

فلفظ (إبراهيم) مفعول به مقدم ولفظ الجَلَّالة (فاعل) مؤخر ومن المعاني في هذا التأخير والتقديم، تشريف أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإلصاق الابتلاء به وبإضافة اسم رب إلىٰ اسمه، وكذلك تنزيه الله بإبعاده عن البلاء، والذي قد يكون فيه بعض المشقة علىٰ البشر، مع أن المحصلة النهائية هي الفوز والنجاح للمؤمنين باجتيازهم هذا الامتحان، مثال آخر قال عزّ من قائل:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم:١٨].

في اللغة العربية الجار والمجرور الأفضل أن يكون قريبا من الفعل المتعلق به، نحو قولنا (ذهب زيد إلىٰ المدرسة) وكما ذكرنا سابقا أن التقديم أو التأخير أسلوب من أساليب اللغة العربية يضيف معان مقصودة للمتكلم يفهما ويحسها السامع، وإن لم ينتبه إلىٰ الأسلوب للوهلة الأولىٰ، وفي مثالنا تم تأخير (علىٰ شي) وهو متعلق فعل (لا يقدرون) وكان الفاصل هو جملة (مما كسبوا) وفي ذلك تشنيعا عليهم وعلىٰ كِبَرِ خطيئتهم، هذا بالإضافة إلىٰ بيان سبب عدم مقدرتهم هو كسبهم وليس سببا آخر، وأن الله

لم يظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم، كل هذا وغيره فُهِمَ بهذا التأخير والتقديم، ومثله كثير في القرآن.

مثال آخر قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ بِرُءُوسِكُمۡ...٦﴾ [المائدة:٦].

كلمة (برؤوسكم) كلمة مجرورة بين كلمات منصوبة وفي الصناعة اللغوية الأفضل أن تكون المنصوبات متتابعة ثم المجرورات، ولكن كان هذا دلالة علىٰ الترتيب في الوضوء.

وهناك نوع ثان من التقديم والتأخير وهو تقديم وتأخير بخلاف التسلسل المنطقي وذلك لمعنىٰ مقصود ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن:١-٤].

(عَلّمَ القرآن) كانت هي أُولىٰ ألاءِ الله ونِعمه التي ذكرت في السورة، والإنسان حتىٰ يتعلم القرآن يجب أن يكون موجوداً متعلماً للكلام أولاً، ثم بعد ذلك يتعلم القرآن، لكن لمَّا كانت سورة (الرحمن) هي سورة التعرّف علىٰ الله عزّ وجَلَّ بنعمه وآلائه ورحمته لعبادته، افُتِتحتْ بأعظم نعمه وأجَلّها وهي تعلميه القرآن للبشر ثم تتوالىٰ نعم الله وآلاءه.

❁❁❁

معجزات الله والبشر

معجزات الله جَلَّ وعلىٰ في كل شيء، ولكنَّ الله يختص من يشاء من عباده بمعجزات منَّةً منه وفضلاً فقد قال الله تعالىٰ:

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾ [الكهف:١٧].

قد ذكر الله جَلَّ وعلىٰ هذه الآية في ختام قصة أهل الكهف وقد وقفت كثيراً مع قصة أهل الكهف وبحثت في التفاسير عن هذا المزيج العجيب من الصفات التي ذكرت في صفات أهل الكهف من ساعة نومهم إلىٰ ساعة بعثهم ولعلنا نلّخصَ هذا المزيج في الجدول التالي:

صفات طبيعية	صفات غير طبيعية
ضربنا علىٰ آذانهم	النوم ٣٠٩ عام
نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال	توقف نمو شعورهم وأظفارهم
إذا طلعت الشمس تزاور عنهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال	عدم بلاء أجسادهم
كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد	الحياة بدون طعام ولا ماء

صفات طبيعية	صفات غير طبيعية
	تحسبهم أيقاظًا وهم رقود
	يثيرون الرعب ويحثون علىٰ الهرب

هذا المزيج العجيب في السنن الكونية، الذي لا يقدر عليه إلا من له المشيئة المطلقة في كونه يتصرف كما يشاء وبما يشاء، فهذه سنَّةً يبقيها كما هي، فيضرب علىٰ آذانهم ويقلبهم ويبعث عليهم الشمس بأشعتها بعناية علىٰ الطريقة الطبيعية كما يحتاجها سائر البشر الطبيعيون، ومن جهة أخرىٰ ينامون ٣٠٩ عاما بدون طعام ولا ماء ولا تبلىٰ أجسادهم ولا تنمو أظفارهم ولا شعورهم، فانظر إلىٰ عظيم قدرة الله كيف يتصرف في خلقه وفي الكون وفي السنن الكونية كيف يشاء، فاطلق لفكرك العنان في أحوال اليوم الاخر، وفي الجنة ونعيمها، وفي النار وعذابها، ولا تقيد مخيلتك بالسنن الكونية الآن، فخالقها يغيرها ويضع قوانين وسنن أخرىٰ.

مثال آخر الله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩].

فالقصة مذكورة في التفاسير، والذي نريد موضع التدبر كيف أن الله جَلَّ وعلىٰ المتصرف في خلقه أبقىٰ الطعام والشراب الذي هو أدعىٰ للتلف

والفساد، وكيف أفنىٰ الحمار المخلوق وجعل عظامه رميما، وحفظ مخلوقًا آخر قرونًا وهم أهل الكهف وكلبهم، فسبحان الله تعالىٰ في علاه له الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله، متصرف في الخلق كيف يشاء بما يشاء.

مثال آخر الله تعالىٰ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم:٢٥].

مريم عليها السلام آية من آيات الله في كونه، المرأة النفاس تهز النخلة! وفي عُرفِ البشر هل يستطيع أقوىٰ الرجال هز نخلة؟ وهل تُهز النخل؟ أشجار بجذوع ضخمة، لكنَّ الله المتصرف بخلقه وكونه كما يشاء جعل النخلة تهتز بيد المرأة النفاس التي قد تكون في أشد حالات ضعفها، ثم بعد هز النخلة يتتابع سقوط التمر الرطب الذي طاب وآن حصاده، ولمَّا يسقط لا يسقط بعيداً وإنما يسقط بين يدها.

ولا تنسىٰ أن تقف عند آيات الله الكثيرة التي جعلها بيد خلق من خلقه الذي اصطفىٰ عليهم الصلاة والسلام جميعًا فهي كثير في القرآن، وعند قراءة القرآن أو سماعه قف عند هذه الآيات تفكر ابحث في التفاسير انظر في جميع جوانب القصة لترىٰ الاعجاز والقدرة المطلة لله جَلَّ وعلىٰ.

❁❁❁

معاني أدوات النداء والاشارة والاستفهام وغيرها

ومن عظمة اللغة العربية وإعجازها كثرة أساليبها البلاغية وسعتها فمن ذلك خروج معاني أدوات النداء والاشارة والاستفهام وغيرها عن معناها الأصلي كخروج أدوات النداء من نداء القريب أو البعيد إلىٰ معان أخرىٰ تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كالإغراء والتحسر والزجر ومثال قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام:٢٧].

فانظر إلىٰ قوله (يا ليتنا) كيف دلت علىٰ التحسر والندم علىٰ ما فات من الفرص، والتمسك بالإيمان والتقوىٰ.

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩١].

كيف أن لفظ الاستفهام أفاد الأمر.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنعام:٤٠].

كيف أن لفظ الاستفهام أفاد الانكار.

والأمثلة كثيرة فليُرجع لها في كُتب البلاغة والمعاني، فالقرآن كتاب عربي أنزله الله جَلَّ وعلىٰ، معجزة خالدة إلىٰ يوم القيامة بلسان عربي مبين، فهذه أبواب للدخول ومرافئ للخوض في بحار معجزاته، لِما يُورثه هذا البحث من إيمان واخبات وخضوع وتذلل بين يدي لله الواحد القهار، فهذا اعجازه في كتابه الذي لا تنفذ آياته وكلماته فكيف ملكوته، فقد قال تعالىٰ:

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف:١٠٩].

إرشادات سريعة

التوقف في الآية والتفكر فيها مرات عدة في أوقات مختلفة.

تكرار قراءة وسماع الآيات المراد التدبر فيها في أوقات مختلفة.

أثناء قراءتك أو سماعك للقرآن، إذا وقع في نفسك معنىٰ أو استفسار فاجعل لنفسك مفكرة (الوسائل الحديث كثيرة في هذا الباب، أبسطها أرسل رسال لنفسك عبر الواتس) فاحفظ الآية أو رقمها واشارةً إلىٰ المطلوب ثم ابحث عنها في وقت آخر.

اعرض الآيات علىٰ الاخرين وتناقش وتدارس معهم، فقد يفتح الله لغيرك ما لا يفتحه لك.

ابحث عن النكت البلاغية والأساليب اللغوية.

إذا وجدت كلمة (كم) فاعرف أن المسألة خرجت عن العد بحيث تستوجب أن تستفهم عنها، وقد تكررت كلمة (كم) كثيراً في القرآن.

تدبر في النسق الصوتي للآيات وهذا علم يهتم به من له باع في علم الأصوات.

مراعاة سياق الآيات عند التدبر في آية أنظر إلىٰ موضوع (اختلاف الألفاظ اليسيرة بين الآيات المتشابهة) وكم أثر ذلك علىٰ بعض الألفاظ وكيف استفدنا من السياق وكيف استطعنا تعليل الاختلاف اليسير بين الآيات المتشابهة.

تعلم الناسخ من المنسوخ من الآيات وتدبر في حكمة النسخ وتوقيته وحيثياته فيتبين لك عظيم رحمة الله بعباده ولطفه بهم.

❁❁❁

الفهرس

تمهيد ١
ما هو التدبر؟ ٢
التدبر لغة ٢
التدبر شرعا ٣
موضوعه ٤
حكمه ٥
فضله ٦
ثمرته ٨
استمداده ١٠
مسائله ١١
إحكام القرآن الكريم ١٢
إعجاز القرآن الكريم ١٢
الاعجاز اللغوي البياني ١٣
عظمة اللغة العربية ١٥
الإعجاز العلمي ٢٢
الإعجاز الغيبي ٢٤
الإعجاز التكليفي ٢٦
القرآن كتاب واحد موضوعه واحد ٢٩
الوحدة الموضوعية في القرآن ٢٩
الوحدة الموضوعية في السورة ٣٠
عناصر موضوع السورة ٣٢
نموذج مقترح ٣٢
اسم السورة ٣٥
تفسير اسم السورة التحليلي اللغوي ٣٨
مطلع السورة ٤٠
المواضيع الفرعية ٤٢
خاتمة السورة ٤٤

نسق السورة ٤٧
أثر يبين موضوع السورة ٤٩
مناسبة السور المتتالية بمواضيعها ٥٠
المناسبة بين مطلع السور وخاتمة ما قبلها ٥٣
مناسبات أخرى في القرآن ٥٦
مناسبات مقترحة ٥٦
في اختيار اللفظ ٥٧
التصريف اللغوي للمعنى المقصود ٥٩
بين الآية وما قبلها مباشرة ٦١
بين الآية وما قبلها عموماً ٦٢
بين الآية وما بعدها ٦٤
بين الآية وأول السورة ٦٥
بين صدر الآية وأجزائها وختامها ٦٦
بين صدر الآية وخاتمة التي قبلها مباشرة ٦٨
مناسبة صدر السورة لخاتمتها ٦٩
الموضوع الواحد في السور المختلفة ٧٠
مباحث في التدبر ٧٢
من يجوز له أن يتدبر القرآن ٧٢
نصائح عامة هامة ٧٥
صوارف تدبر القرآن ٧٧
طريقة مقترحة للتدبر ٧٨
اخلاص النية والتعبد لله ٧٨
الاستعانة بالله ٨١
الدعاء ٨٣
تعليق القلب بالله ٨٤
التجرد للحق ٨٦
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ٨٧
حفظ القرآن كاملا ٨٨
قراءة التفاسير ٨٩
أسباب النزول ٩١

قراءة الآثار الواردة بعد نزول الآيات ٩٣
تنبيه وتحذير ٩٤
كن صبورا كن شكورا ٩٥
الهداية على درجات ٩٧
التدبر في سورة ٩٨
التدبر في آية ١٠٠
البحث عن اللطائف ١٠٠
ما يدخل في أفراد العموم وما لا يدخل ١٠٢
ابحث عن التكليف في كل آية ١٠٤
لا يوجد حرف زائد في كتاب اللّٰه ١٠٧
التدبر في أركان الفعل ١٠٩
البحث في حروف المعاني ١١١
تصور كل فعل بصفات فاعله ١١٤
ابحث في الآيات المتكررة ١١٦
ابحث في اللازمة المتكررة ١١٩
للتخرة نواميس خارقة تختلف عن الدنيا ١٢٢
البحث عن الأجور العظيمة بأعمال قليلة ١٢٤
البحث عن الاعجاز العلمي ١٢٧
البحث في الصفات المختلفة المذكورة لشيء ما ١٢٨
المقارنة بين الأشياء المتقابلة وصفاتها ١٣١
لا تعارض في كتاب اللّٰه أو السنة المطهرة ١٣٣
اختلاف الألفاظ اليسيرة بين الآيات المتشابهة ١٣٥
الزيادة في المبنى زيادة في المعنى ١٣٨
اختلاف الترتيب مع التكرار ١٣٩
التقديم والتأخير ١٤١
معجزات اللّٰه والبشر ١٤٣
معاني أدوات النداء والاشارة والاستفهام وغيرها ١٤٦
إرشادات سريعة ١٤٨
الفهرس ١٤٩